

في
التنوير الإسلامي

« ٢٦ »



الحملة الفرنسية في الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة

الحملة الفرنسية فى الميزان

تأليف :

د. محمد عمارة



مكتبة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٢٨



اسم الكتاب: الحملة الفرنسية في الميزان

اسم المؤلف: د / محمد عمارة

تاريخ النشر: ديسمبر ١٩٩٨ م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٦٧٤٣ / ١٩٩٨ م .

الترقيم الدولي: I . S . B . N 977 - 14 - 0887 - 9

الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع .

المركز الرئيسي: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .

مدينة السادس من أكتوبر .

ت: ٢٣٠٢٨٧ / ١١ . (١٠ خطوط)

فاكس: ٢٣٠٢٩٦ / ١١ .

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٥٩٠٨٨٩٥ / ٢ .

فاكس: ٥٩٠٣٣٩٥ / ٢ . ص.ب: ٩٦ الفجالة

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٣٤٧٢٨٦٤ / ٢ .

فاكس: ٣٤٦٢٥٧٦ / ٢ . ص.ب: ٢٠ إمبابة .

تصهيد

فى «الوطنية» - كما فى «الدين» - هناك أمور «معلومة بالضرورة» ، لا تختلف فيها ولا عليها بصائر ذوى التمييز من العقلاء .. ذلك لأن الوطنية الصحيحة ، مثلها كمثّل التدين الصحيح فطرة فطر الله الناس عليها .. وعن الفطرة الدينية حدثنا القرآن الكريم عندما قال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٠) (١) .. وعن فطرة الوطنية علمنا رسول الله - ﷺ - حبه لوطنه مكة - حتى وهى على الشرك ، الذى حاصر دعوته ، واضطهد المؤمنين بها ، بل واستفزز هؤلاء المؤمنين ليخرجهم من وطنهم - فقال - ﷺ - «يُناجى هذا الوطن - مكة - فى لحظة الفراق ، يوم الهجرة : «والله إني أعلم أنك أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلى نفسى ، ولولا أن قومك آخر جوني منك ما خرجت» ..»

ومع مدّلع عصرنا الحديث ، ظهرت طلائع الأناشيد الوطنية ، التى نظمها علماء الإسلام ، فتحدثت عن فطرة الوطنية .. ومنها ما نظمّه الشيخ رفاعه رافع الطهطاوى (١٢١٦ - ١٢٩٠ هـ - ١٨٠١ - ١٨٧٣ م) عندما قال :

(١) الروم : ٣٠ -

من أصل الفطرة للفقطن بعد المولى حب الوطن
هبة من الوهاب بها فالحمد لوهاب المن

ومن فطرة الوطنية - التي اتفق عليها العقلاء ، من كل الشعوب وجميع الحضارات ومختلف الديانات ، على مر الأزمان ، الفرح بالانتصارات الوطنية - والاحتفال بها ، وإحياء ذكرياتها - والحزن بالهزائم والانتكاسات ، والاعتبار بها ... والمسلمون لا يزالون يحتفلون حتى اليوم بانتصارات الدولة الإسلامية الأولى يوم بدر (٢هـ ٦٢٤م) وافتتح مكة (٨هـ ٦٣٠م) وبانتصارات القادسية (١٥هـ ٦٣٦م) واليرموك (١٥هـ ٦٣٦م) والإسكندرية (٢٠هـ ٦٤١م) وحطين (٥٨٣هـ ١١٨٧م) وعين جالوت (٦٥٨هـ ١٢٦٠م) والقسطنطينية (٨٥٧هـ ١٤٥٣م) والعاشر من رمضان ١٣٩٣هـ السادس من أكتوبر ١٩٧٣م ..

فلاحتفالات الوطنية إنما تكون بالانتصارات ، لا بالهزائم والانتكاسات .. وهذه الفطرة الوطنية السوية ليست خصيصة إسلامية ولا شرقية .. وإنما هي فطرة إنسانية .. فالفرنسيون لا يزالون يحتفلون بتراجع مسلمى الأندلس فى موقعة «بواتيه» - بلاط الشهداء - (١١٤هـ ٧٣٢م) .. والنمساويون لا يزالون يحتفلون بتراجع الجيش العثماني عن أسوار «فيينا» (١٠٩٤هـ ١٦٨٣م) .. بل لقد أقام الغرب الدورة الأولمبية - فى «برشلونة» سنة ١٩٩٢م احتفالاً بانتصار الأسبان على المسلمين فى الأندلس ، وإسقاط «غرناطة» (٨٩٧هـ ١٤٩٢م) قبل خمسمائة عام !! ..

(١) رفاة الطهطاوى (الأعمال الكاملة) ج ٥ ص ٢٧٨ - دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .

وكذلك الحال عند الصهبانية ، الذين بلغوا فى الشذوذ عن
الفطرة السوية حتى ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَيْنَا فِي قُلُوبِهِمُ
الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ ^(١) نراهم ييكون على هدم المعبد - ولا يحتفلون
به - وإنما يحتفلون بانتصارهم على العرب ، وإقامة دولتهم سنة
١٩٤٨ م ..

والهنود ، الذين تتلمذوا - بقيادة قديسهم غاندى (١٨٩٦ -
١٩٤٨م) - على الثورة المصرية التى قادها سعد زغلول (١٢٧٣ -
١٣٤٦هـ ١٨٥٧ - ١٩٢٧م) فى سنة ١٩١٩ م .. لم يشذوا - رغم
تقديسهم للبقر - عن هذه الفطرة الوطنية السوية ، فاحتفلوا سنة
١٩٩٧م بالعيد الخمسين للاستقلال عن بريطانيا .. ولم يحتفلوا
بذكرى الاحتلال الإنجليزي لبلادهم ، رغم أنهم قد أخذوا عن هذا
الاستعمار: اللغة .. والقومية .. والعلمانية .. والكثير من
الأداب والفنون والعلوم .. بل لقد بلغوا - إبان احتفالاتهم بذكرى
الاستقلال - إلى الحد الذى اشترطوا فيه على ملكة إنجلترا - وهى
تحضر احتفالاتهم - أن تعتذر - رسميا - لشعب مدينة «أمريستار»
المقدسة لديهم ، عن المذبحة التى ارتكبها الجيش الإنجليزي
الاستعماري فى هذه المدينة سنة ١٩١٩م ، إذا أرادت الملكة أن
تزر «أمريستار» ! ..

تلك هى الفطرة التى فطر الله عليها الناس - الأسوياء - فى
«الوطنية» .. كما فطرهم ، سبحانه ، عليها فى «الدين» ..

(١) البقرة : ٩٣ .

قمة الشذوذ

لذلك .. يصبح الشذوذ عن هذه الفطرة الإنسانية فى الوطنية شيئا غربيا .. بل وشذوذا غير مسبوق فى تاريخ الوطنية بإطلاق .. وانقلابا على السلوك الإنسانى الذى تعارفت عليه وأجمعت القبائل والأمم والشعوب .. فلا أحد يحتفل بذكرى اقتحام اللص لمنزله ، أو اغتصاب أرضه ، أو انتهاك عرضه ، أو سلب سيادته على وطنه .. اللهم إلا هذا النفر من شواذ المثقفين الفرانكفونيين - بمصر - الذين ساروا فى الركاب الفرنسى ، وقرروا الاحتفال - على امتداد عامين - بمائتى عام على حملة نابليون بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) ! . محاولين ستر هذا العوار والشذوذ بادعاء أنهم إنما يحتفلون بالعلاقات الثقافية مع فرنسا ، وليس بالغزوة الاستعمارية .. يحتفلون بالمطبعة والمجمع العلمى وليس بالمدفع والبارود ! .. ولو صدقوا فى هذا الادعاء ، لكان احتفالهم مبادرة ذاتية منهم ، بدلا من أن يأتى استجابة ذليلة لأحفاد الغازى نابليون .. ولو كان لادعائهم ظل من الحقيقة لجعلوا هذا الاحتفال فى ذكرى الجلاء الفرنسى عن مصر سنة ١٨٠١م - كما صنع ويصنع كل البشر - حتى الذين أشربوا فى قلوبهم العجل ، والذين يقصدسون البقر! أو لجعلوا الاحتفال فى ذكرى فك العالم الفرنسى «شمبليون» (١٧٩٠ - ١٨٣٢م) الرموز اللغوية فى «حجر رشيد» (١٢٤٢هـ ١٨٢٧م) .. أو مثل هذه المناسبات الثقافية «الفرنسية - المصرية» ، بدلا من أن يجعلوا شهر يوليو سنة ١٩٩٨م - وهو شهر بداية الاحتلال الفرنسى لمصر سنة ١٧٩٨م -

بداية هذه الاحتفالات، التي أرادها الفرنسيون - ومعهم شواذ
الفرانكفونيين المصريين - لمدة عامين، التي هي مدة الاحتلال !!..

بل إن شذوذ هذه الاحتفالات - والقائمين بها - عن «المعلوم
من الوطنية بالضرورة» ليتزايد إذا نحن علمنا أن هذا الاستعمار
الفرنسي - الذي يحتفلون به - ليس استعمارا عاديا - كسواه من
ألوان البلاء الاستعماري ، الذي ابتليت به كثير من الشعوب ، وإنما
هو قمة البلاء الاستعماري ، لأن الاستعمار الفرنسي على وجه
الخصوص لم يكتف - عادة - بما اكتفى به كثير من المستعمرين، من :
احتلال الأرض، ونهب الثروة، وسلب الحرية، وإذلال الكرامة .. وإنما
تجاوز المستعمرون الفرنسيون - عادة - هذه المقاصد الاستعمارية إلى
حيث ذهبوا المحو الهوية الدينية واللغوية للشعوب التي ابتليت
باستعمارهم، فتعدى استعمارهم نطاق «الإمبريالية» إلى نطاق القتل
والإبادة لتمييز الشعوب المستعمرة عن فرنسا .. لقد أرادوه قهراً
ومحواً «للذات» ، وليس فقط اغتصاباً «للإمكانات» !!..

بل لقد يدهش الذين لا يقرأون صفحات التاريخ القديم إذا هم علموا
أن الاستعمار الفرنسي قد مثل بالنسبة لمصر ووطن العروبة وعالم
السلام أقدم موجات الاستعمار الأوربي، وليس فقط أقصى وأخطر
وأسوأ هذه الموجات !!..

● فحملات الغزوات الصليبية - التي استمرت على بلادنا العربية
قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م) والتي مثلت - بما
أقامت في بلادنا من استعمار استيطاني ، وممالك وإمارات وقلاع
وحصون ، وتهديد لمقدسات الإسلام في الحرمين المكي والنبوي ، فضلاً
عن اغتصاب الأقصى وتحويله إلى كنيسة ، واحتلال القدس الشريف ..
إلخ - هذه الحملات الصليبية بدأت مشروعاً استعمارياً فرنسياً !!..

فمن جنوبى فرنسا - بمدينة «كلير مونت» بدأت هذه الغزوة ،
عندما دعا البابا الذهبى «إربان الثانى» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) أمراء
الإقطاع وفرسانهم ، وخطب فيهم - داعيا إلى أن يتخذوا الإسلام
والشرق عدوا يوجهون إليهما طاقاتهم وغرائزهم العدوانية ، بدلا
من توجيهها فى صراعاتهم الداخلية !! - فقال لهم :

«أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتناذون فيما بينكم -
ولكن ، تعالوا وحاربوا الكفار - (أى المسلمين) !! - .. يامن تنابذتم اتحادوا
.. يامن كنتم لصوصا كونوا الآن جنودا .. تقدموا إلى بيت المقدس ..
انتزعوا تلك الأرض الطاهرة ، واحفظوها لأنفسكم ، فهى تدر سمنا
وعسلا !. إنكم إذا انتصرتكم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق^(١) !

فمن فرنسا بدأ أول مشروع أوربى لتوحيد حتى اللصوص
لمواجهة الإسلام والمسلمين ، وورثة ممالك الشرق ، التى «تدر سمنا
وعسلا» ! ..

وعندما اقتحمت هذه الغزوة - التى انطلقت من فرنسا - مدينة
القدس (٤٩٢هـ ١٠٩٩م) أبادت من بها من المسلمين ، حتى
الذين احتسبوا ببيوت الله ، سفكوا دماءهم ، حتى لقد سبحت
خيول الصليبيين بدماء الأبرياء فى مسجد عمر بن الخطاب
- مسجد قبة الصخرة - .. وكتب هؤلاء البرابرة - أجداد نابليون
بونابرت - إلى البابا الذهبى - فى فرنسا - يفأخرون بما صنعوا ،
فقالوا : «إذا أرت أن تعرف ما يجرى لأعدائنا ، فثق أنه - فى جامع عمر -
كانت خيولنا تغوص إلى ركبها فى بحر دماء الشرقيين^(٢)» ..

(١) د . محمد عمارة (معارك العرب ضد الغزاة) ص ٣٥ طبعة دمشق سنة ١٩٨٨ م .

(٢) المرجع السابق . ص ٣٩ .

وبكلمات شاهد عيان - فى مصدر نصرانى - « فلقد استوعب
المسجد من الدم المحتقن فيه كفى بحر متموج^(١) » !

● ومن بين الحملات الصليبية - التى انطلقت من فرنسا -
بقيادة أمرائها وملوكها - تميزت حملات وحروب الملك - القديس -
لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م) .. وكان لويس التاسع هو
مكتشف المنهاج الذى سار عليه نابليون بحملته على مصر ! ..
المنهاج الذى يرى أن مصر هى بوابة الشرق ، وطريق القدس
الشريف .. فاحتلال مصر هو الشرط لاستعادة القدس - التى سبق أن
حررها من الاستعمار الصليبي صلاح الدين الأيوبي (٥٢٢ - ٥٨٩هـ
١١٣٧ - ١١٩٣م) - ولقد عبر المؤرخ «ابن واصل» (٦٠٤ - ٦٩٧هـ
١٢٠٨ - ١٢٩٨م) فى كتابه (مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب)
عن هذا المنهاج - الذى سلكه لويس التاسع .. ومن بعده نابليون -
فقال عن القديس لويس : «إنه كان متدينا بدين النصرانية ،
مرتبطا به .. فحدثته نفسه أن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج ..
وعلم أن ذلك لا يتم له إلا بملك الديار المصرية^(٢) » !

وعندما نقرأ الإنذار الذى وجهه القديس لويس التاسع إلى
الملك الأيوبي الصالح نجم الدين أيوب (٦٠٣ - ٦٤٧هـ ١٢٠٦ -
١٢٤٩م) نجد الحقائق الكاشفة عن دور فرنسا فى ذلك الصراع ..
فهو يتحدث عن نفسه باعتباره ممثل النصرانية الغربية - «أمين
الأمة العيسوية» - .. ويكشف عن دور فرنسا فى الصراع ضد
الإسلام ، لا فى الشرق فحسب ، وإنما فى الأندلس أيضا - فيقول :

(١) مكسيموس مونروند (تاريخ الحروب المقدسة فى المشرق المدعوة حرب الصليب) ج١
ص ٢٨٢ طبعة القدس سنة ١٨٦٥م .

(٢) (معارك العرب ضد الغزاة) ص ٩٦ ، ٩٧ .

... وإن أهل جزائر الأندلس يحملون إلينا الأموال والهدايا. ونحن نسوقهم سوق البقر! ونقتل منهم الرجال، ونرمي النساء، ونستأسر البنات والصبيان، ونخلى منهم الديار»^(١)... فحرب فرنسا ضد الإسلام كانت قائمة وشاملة في المشرق والمغرب على السواء ..

● وإذا كانت حملة القديس لويس التاسع قد انكسرت على أرض «المنصورة» - بلدتا نيل مصر .. بل ووقع «أمين الأمة العيسوية» أسيرا (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م) .. فإن عهد هذا الملك وسنوات حملته الصليبية قد شهدت قيادة الاستعمارى الفرنسى لبواكير الأحلاف غير المقدسة بين الاستعمار الغربى وبين الوثنية - حتى الوثنية - إذا كانت المواجهة مع الإسلام والمسلمين .. فعلى درب «يهود خيبر» - الذين تحالفوا مع مشركى مكة - عبدة الأوثان - ضد التوحيد الإسلامى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢)﴾^(٢) .. على درب «يهود خيبر» سارت فرنسا، ممثلة فى «البابا اينوسنت الرابع» (١٢٤٣ - ١٢٥٤م) وفى القديس لويس التاسع، عندما سعى البابا إلى التحالف مع المغول الوثنيين ضد الإسلام والمسلمين، فأرسل (٦٤٣هـ - ١٢٤٥م) إلى بلاط خاقان المغول - فى «قراقورم» - بعثة رأسها أحد رجالاته - «جون ده بيانى كابرينى» - لإقناع المغول - الذين

(١) المرجع السابق . ص ٩٩ .

(٢) النساء : ٥١ ، ٥٢ .

كانوا يفكرون بغزو أوروبا - لإقناعهم بالتحالف مع الصليبيين ،
وتوجيه غزوتهم المدمرة إلى عالم الإسلام ! ..

وتواصلت المفاوضات بين الطرفين سنة ١٢٥٢م - أي حتى بعد
هزيمة حملة لويس التاسع على مصر - حتى تم التحالف
اللامبدي .. فزحف المغول على بغداد فدمروها (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)
ثم دمروا بلاد المشرق ، وهددوا الوجود الإسلامي في جملته ؛ لولا
أن قيض الله لمصر هزيمتهم في «عين جالوت» (٦٥٨هـ -
١٢٦٠م) ..

بل إن هزيمة لويس التاسع في مصر لم تكن أحلامه الصليبية
الاستعمارية ، فذهب على رأس حملة صليبية أخرى لغزو تونس ،
حيث هزم وقضى نحبه هناك (٦٦٩هـ - ١٢٧٠م) ..

● وبعد نجاح البرتغاليين - عقب سقوط غرناطة - في
الالتفاف حول العالم الإسلامي - أواخر القرن الخامس عشر
وأوائل القرن السادس عشر - .. وعندما بدأت أوروبا تفكر في
ضرب قلب العالم الإسلامي - مصر والوطن العربي - لم تجد أوروبا -
يومئذ - أفضل من فرنسا لتقود وتبدأ هذا الإنجاز الاستعماري ..
فالفيلسوف الألماني «ليبنتز» (١٦٤٦ - ١٧١٦م) عندما كتب كتابه الذي
وصف فيه واقع مصر الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والديني -
سنة ١٦٧٢م - يغيري أوروبا باستعمار مصر - وسمى هذا الكتاب
(المخطوط الري لغزو مصر) - لم يجد هذا الفيلسوف - مُنفذاً
لمشروعه الاستعماري أفضل من ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٣٨ -
١٧١٥م) .. فقدمه إليه - رغم ما كان يومئذ بين ألمانيا وفرنسا من

تناقضات ومحاربات - لأن الجميع - في مواجهة الإسلام والمسلمين - هم على قلب رجل واحد .. كل النصرانية الغربية .. وجميع المذاهب النصرانية .. وسائر القوميات الأوربية .. بل وحتى التحالف مع الوثنية المغولية البربرية .. كل ذلك وارد و «مشروع» في مواجهة الإسلام والمسلمين ..

ولقد كان هذا المخطوط السرى لغزو مصر (دليل نابليون بونابرت ١٧٦٩ - ١٨٢١ م) وحملته الفرنسية على مصر .. بل وما كان كتاب (وصف مصر) - الذى وضعه علماء هذه الحملة الفرنسية - إلا الصورة المتطورة لهذا المخطوط .. فالمقصود والمراد هو وصف الواقع لاحتلاله ونهب ثرواته ، ودراسة عقل الأمة وفكريتها وعاداتها وتقاليدها وأعرافها وموارثها ، لتدبير كيفية التعامل معها ، ليتأيد ويتأيد هذا الاحتلال ! ..

حملة نابليون على مصر

وإذا كانت مهمة هذه الصفحات ليست حكاية وقائع الاحتلال العسكري الفرنسي لأرض مصر .. والذي قام الفرنسيون - لتحقيقه - بقتل ثلث مليون مصري - في وقت كان تعداد مصر لا يتجاوز ٢٤٦٠,٠٠٠ نسمة .. - أي أنهم قد ضربوا رقما قياسيا في «الإبادة» عندما قتلوا ٧/١ الشعب المصري ، في مدة لم تتجاوز السنوات الثلاث !! -

وهدموا وأحرقوا الكثير من القرى - التي ثارت جميعها ضد جيش الاحتلال - والعديد من أحياء المدن ، التي تنافست في المقاومة للغزاة .. حتى لقد كان للعميان - في الأزهر الشريف - ثورتهم الخاصة ، والتي قدموا فيها وفي أعقابها العديد من الشهداء ! .. الأمر الذي جعل بونابرت - وهو الذي دوخ أوربا - يهرب من مصر بليل .. وجعل خليفته الجنرال «كليبر» (١٧٥٣ - ١٨٠٠م) يلقي مصرعه بمصر .. أما ثالثهم - الذي خلف «كليبر» - وهو الجنرال «مينو» (١٧٥٠ - ١٨١٠م) - فلقد اضطر للاحتماء بالإسلام ، فأعلن إسلامه وسمى نفسه «عبد الله» وتزوج مصرية من مدينة «رشيد» ! .. لتضطر هذه الحملة - التي جاءت لتحقيق أحلام الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٣ ق . م) والقديس لويس التاسع .. ولويس الرابع عشر .. وبابوات فرنسا .. «الأمة العيسوية» الغربية .. تضطر إلى الرحيل عن مصر (١٢١٦هـ ١٨٠١م) ..

ليست مهمة هذه الصفحات حكاية الوقائع التي اشتهرت في كتب التاريخ .. بقدر ما تطمح إلى لفت الأنظار إلى الجوانب الفكرية والحضارية التي قصدت إليها هذه الحملة ، ليعرف من لا يعرف أن جوانب الفكر في هذه الحملة الاستعمارية كانت في خدمة المدفع والبارود .. بل ربما كانت أخطر من المدفع والبارود! ..

● إننا نشكو اليوم - على النطاق العربي الإسلامي - من اختراق الغرب لأمننا الوطني والقومي والحضارى من خلال ثغرات الأقليات - الدينية والقومية - ومحاولاته تحويل هذه الأقليات إلى أوراق ضغط على الحكومات الوطنية ، وإلى عقبات أمام مشاريع التغيير والنهوض - القومية منها والإسلامية - بل والوطنية أحيانا - .. ولقد كانت لنابليون وحملته الفرنسية الريادة في هذا الاختراق! ..

لقد أعلن بوناپرت - وهو في طريقه إلى غزو مصر - عن نيته تجنيد عشرين ألفاً من أبناء الأقليات في الشرق ، للاستعانة بهم كقبضة ضاربة ، وقفاز محلى ، ومواطن أقدام لحملته الاستعمارية وحلته الإمبراطورية ..

وبعد احتلاله لمصر ، بدأ التنفيذ لهذا المخطط الخطير والكريه .. فأغرى نفراً من «أراذل النصارى» - من الأقباط والطوائف الأخرى .. وخاصة أتباع المذاهب النصرانية الغربية - بالخروج على إجماع الأمة - المسلمين منها والنصارى - فكوّنوا «فيلقا قبضي» التحق بجيش الحملة الفرنسية ، وحارب الشعب المصرى مع قوات الاحتلال .. وقاد هذا الفليق «المعلم يعقوب حنا» (١١٥٨ - ١٢١٦ هـ ١٧٤٥ - ١٨٠١ م) - وهو الذى سماه الجبرتى (١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ ١٧٥٤ - ١٨٢٢ م) «يعقوب اللعين»! ..

و «فيلقا» ثانيا من النصارى الأروام ، قاده «برطلمين بنى الرومى»
- الذى اشتهر لدى العامة بـ «فرط الرمان» ! ..

وكما يقول الجبرتى - مؤرخ العصر وحجته - فإن فيلق المعلم
يعقوب قد ضم من شباب القبط بالصعيد نحو الألفين .. وشارك
هذا الفيلق مع الجيش الفرنسى - الذى قاده «ديزيه» - فى «فتح
صعيد مصر» ! .. وتدرج المعلم يعقوب فى مراتب الجيش
الفرنسى ، فمُنحه «كليبر» رتبة «كولونيل» ، وأنعم عليه «ميناو»
برتبة «جنرال» فى مارس سنة ١٨٠١م^(١) ..

فكان هذا أول اختراق استعمارى غريب لصفوف الوحدة الوطنية
المصرية ! .. ولقد تم على يد حملة نابليون ...

● وفى «ديوان المشورة» - الذى أقامه «بونابرت» - جعل لهذه
الأقليات غير المسلمة - التى لا تتعدى نسبتها العددية لمجموع
السكان ٥ ٪ - نصف عضوية الديوان العام والأخص - خمسة من
علماء الأزهر ، واثنان من التجار المسلمين ، وسبعة من الأقليات
النصرانية - وعندما يضاف إليهم الأعضاء الفرنسيون يصبح
المسلمون أقلية ضئيلة العدد والتأثير فى هذا الديوان^(٢) ! ..
فالهدف لم يكن تدريب الشعب على حكم نفسه - كما يزيف
المتغربون - وإنما كان إذلال الأمة بتحكم الأقلية الخائنة فى
مصائرها ! ..

● أما الجهاز المالى والإدارى - أى الحكومة والسلطة التنفيذية

(١) (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار) ج ٥ ص ١٤٨ ، ١٤٩ ، تحقيق : حسن
محمد جوهر ، عمر الدسوقي ، السيد إبراهيم سالم . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٥م .

(٢) المصدر السابق . ج ٥ ص ٤ .

- فلقد اختص بها الفرنسيون هذه الأقليات التي أصبحت سبائًا يلهب بها الفرنسيون ظهور المصريين !

● ولم يقف الأمر عند حدود توظيف هذا الاختراق لخدمة المقاصد السياسية والمالية والإدارية . . وإنما تعداه إلى توظيف هذه الشريعة - من «أراذل القبط» - كما سماهم الجبرتي - لا استفزاز عقيدة الأمة ، والعدوان على إسلامها ! . .

فعلى النقيض من محاولات خديعة المسلمين بادعاء «إسلام بونابرت» ، ومجىء جيشه لنصرة سلطان المسلمين ضد المماليك . . رأينا الجنرال «كليبر» كما يقول الجبرتي - يعهد إلى المعلم يعقوب حنا - بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء^(١) . . . حتى تطاوت النصراري - من القبط ونصارى الشوام - على المسلمين بالسب والضرب ، ونالوا منهم أغراضهم ، وأظهروا حقدهم ، ولم يبقوا للصالح مكانًا ؟ ! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين^(٢) . . . فشق الوحدة الوطنية بلغت به الحملة الفرنسية حد استفزاز وتهديد حتى عقيدة الإسلام في مصر . وإعلان انقضاء ملة المسلمين ، وأيام الموحدين . . .

● بل إن هذا الاختراق الذي أحدثته الحملة الفرنسية للوحدة الوطنية المصرية ، لم تنقض آثاره بهزيمة هذه الحملة ، وجلاء جيشها عن مصر (١٢١٦هـ - ١٨٠١م) وتسريح «الفيلق القبطي» . . ذلك أن هذه الشريعة - من «أراذل القبط» - كانت بمثابة طليعة تيار ، التفريب ، والاستلاب الحضاري ، والانفصال - الذي سموه «الاستقلال» - عن ماضي مصر وتراثها وهويتها الإسلامية ، وعن محيطها العربي

(١) المصدر السابق : ج ٥ ص ١٣٤ .

(٢) المصدر السابق : ج ٥ ص ١٣٦ .

والإسلامي... الاستقلال، عن الذات الحضارية، والإحقاق والالتحاق والتبعية للنموذج الغربي، الذي جاء به الفرنسيون الغفراء..

وإذا كان المعلم يعقوب اللعين ، قد غادر مصر - هو وأعوانه - في ركاب الحملة الفرنسية المنهزمة ، وعلى ذات السفن التي أقلت جنود هذه الحملة .. فإن خيبة هذه الحملة البونابرتية ، لم تجعل آمال المعلم يعقوب تخب في أوروبا ! .. فتوجه «بوصيته» - التي كتبها في مرض موته ، على ظهر السفينة التي أقلته من مصر - توجه إلى إنجلترا ، لتحل محل فرنسا ، وتسعى للسيطرة على مصر ، وإحقاقها بأوروبا - بدلا من الإمبراطورية العثمانية - فكتب في وصيته عن هذا المشروع يقول :

«توشك الإمبراطورية العثمانية على الانهيار . ولذا فيهم الإنجليز ، قبل أن تقع الواقعة ، أن يلتمسوا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الاستفادة من ذلك الحدث عند وقوعه ، فيحققوا مصالحهم السياسية.

وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك من قبل على فرنسا - فيكفي أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا ، صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها .. إن بريطانيا لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية ، ويضمن لها بالتالي أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها .. إن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا .. ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر ، ، وهذا الاستقلال لن يكون نتيجة وعى الأمة ، ولكنه سيكون نتيجة تغيير جبري تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالين جهلاء .. وللدفاع عن هذا الاستقلال .. فإن

المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل لحسابهم، يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي ، يكفون تماماً لصد الترك عن الصحراء ، ولسحق المماليك داخل مصر . . إن أي حكومة في العالم أفضل من الاستبداد التركي^(١)!

فالوصية «اليعقوبية» هي باستقلال مصر عن ذاتها الحضارية، وماضيها وحاضرها الإسلامي، ومحيطها القومي والحضاري، وإخضاعها لنفوذ إنجلترا، لتكون موالية لبريطانيا، التي تستأثر بتجارتها الخارجية.. هذا «الاستقلال» الذي تفرضه القوات الأجنبية على المصريين «المسلمين الجهلاء».. كما قال المعلم يعقوب اللعين!..

هكذا تخلّقت - على يد الحملة الفرنسية - بواكير الخيانة والاختراق للأمن الوطني والقومي والحضاري ، من خلال ثغرة «الأقليات» . . ولا تزال نعاني من هذا «الإنجاز» الفرنسي حتى الآن . . بل إن موكب الاحتفال الحالي بحملة بوناپرت إنما يشي بالامتدادات السراطانية لثراث وأفكار يعقوب اللعين !! . .

● وإذا كنا نشكو من اختراق القانون الغربي لمناطق سيادة الشريعة الإسلامية . . منذ تسلسل هذا القانون - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - إلى «المحاكم القنصلية» . . ثم «المحاكم المختلطة» (١٢٩٢هـ ١٨٧٥م) . . ثم عموم بلواه في القضاء الأهلى على يد الاستعمار الإنجليزي - وفي ظل سلطان اللورد «كرومر» (١٨٤١ - ١٩١٧) منذ (١٣٠٠هـ ١٨٨٣م) . . فإن بواكير هذا الاختراق، الذي زاحم شريعتنا الإسلامية وفقهنا الوطني، حتى

(١) د . أحمد حسين الصاوى (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ١٢٣ - ١٢٥

- ملحق رقم ٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٨٦ م .

أجلاهما عن أغلب ميادين التشريع والقضاء ببلادنا الإسلامية.. إن
بواكير هذا الاختراق قد كانت من آثار الحملة الفرنسية على مصر..

فبعد هزيمة جيش الحملة ، وجلائه عن مصر .. وبعد موت
المعلم يعقوب اللعين - على ظهر السفينة التي أقلتته مع جيش
الحملة الفرنسية إلى مرسيليا - توجه رفقاء المعلم يعقوب - بقيادة
«غر أفندي» - باسم «الوفد المصري» ! - توجهوا إلى مرسيليا ..
وكتبوا إلى بونابرت ، يعرضون عليه العمل على إحلال القانون
الفرنسي محل الشريعة الإسلامية في مصر.. فبعد حديثهم عن
«الولاء لبونابرت» ، تعهدوا «بالتشريع لمصر التشريعات التي ترضى
عنها فرنسا»..!! معنيين بذلك ولادة التوجه الفكري - الذي نراه الآن
- الداعي إلى إلحاق مصر بآوريا في النظم والتشريعات .. فقالوا
لبونابرت : «إن الوفد المصري ، الذي فوضه المصريون الباقون على
ولانهم لك ، سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عند ما يعود إليها من
فرنسا»..!!

● وإذا كنا نشكو اليوم من الاختراق الديني ، الذي تقوم به
الكنائس الغربية ، العاملة في خدمة المخططات الاستعمارية في
قلب إفريقيا .. ومن استغلالها المشكلات الاجتماعية ،
والمنازعات القبلية ، والكوارث الطبيعية - بل وصنعها لكل ذلك -
حتى تفقد الناس توازنهم ، فيتم تحويلهم عن دياناتهم ومذاهبهم
إلى النصرانية الغربية .. إذا كنا نشكو اليوم من هذا الاختراق
النصراني الغربي للقارة الأفريقية - حتى لقد رفعوا شعارا يقول :

(١) المصدر السابق . ص ١٢٩ ، ١٣٠ - ملحق رقم ٧ .

إفريقيا نصرانية سنة ٢٠٠٠م - فإن بواكير هذا الاختراق هي صناعة فرنسية أيضا!...

فلقد كان إلحاق الكنيسة الأثيوبية - وهي أرثوذكسية - بالكنيسة الرومانية - الكاثوليكية - أحد أحلام لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م) - أراد تحقيقه بواسطة بعض الأقباط المصريين - أي عن طريق اختراق الكنيسة المصرية - .. فلما فشل في تحقيقه .. رأينا أتباع المعلم يعقوب اللعين يكتبون إلى وزير الخارجية الفرنسي «تاليران» (١٧٥٤ - ١٨٣٨م) يتعهدون بالعمل على تحقيق ما لم يستطع تحقيقه لويس الرابع عشر! .. فيقولون: «لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في القاهرة على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) . ولكنه كان يسعى في الحقيقة لمد نفوذه السياسى نحو أقاليم وسط إفريقيا الجذابة الغامضة . ومن ثم بذل عدة جهود - لم يقدر لها النجاح - لكي يتعلم فى فرنسا عدد من شباب القبط المصريين ، لأن بطريرك الأقباط هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية . وإذا كان الملك قد أخفق فى مسعاه ، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم - إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية، التى ستكون موالية لها، مد نفوذها نحو أواسط إفريقيا .. وبذلك تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية^(١) .!! .. أى والله ! هكذا عرض رفقاء المعلم يعقوب - وهم ثمرة الاختراق الفرنسى لوحدتنا الوطنية - عرضوا تسخير مصر وكنيستها الوطنية فى سبيل تحقيق أحلام الاستعمار الفرنسى فى الشرق ، وفى إفريقيا «الجذابة .. الغامضة» - كما قالوا - ! ..

(١) المصدر السابق . ص ١٣١ ، ١٣٢ - ملحق رقم ٨ - وتاريخ هذه المذكرة ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ .

فهل بهذه الاختراقات ، التى صنعها بونايرت وحملته
الفرنسية ، يحتفل الفرنكفونيون ؟ ! ..

وإذا قالوا : إنهم يحتفلون «بالفكر .. والثقافة» ، لا «بالمذبح
والبارود» .. ففى أى خانة نضع اختراق الوحدة الوطنية .. وبلورة
تيار الإلحاق الحضارى لبلادنا بأوروبا .. واستبدال التشريع
الفرنسى - قانون نابليون - بالشريعة الإسلامية .. وتحويل هوية
الأمة - مسلميها ونصاراها - نحو الغرب والتغريب - واختراق
الكنيسة المصرية ، للوصول عبرها إلى قلب إفريقيا .. فى أى
خانة نضع هذه «الإنجازات» البونايرتية ، إذا لم نضعها فى خانة
«الفكر ... والثقافة» ؟ ! ..

لقد انكشفت الوجوه .. بل وشاهدت هذه الوجوه ! ..



● ويزيد الطين بلة .. أن سجل العار لحملة بونايرت الفرنسية
لم يقف عند هذا الذى صنعه بمصر - والذى اكتفينا فى الحديث
عنه بإشارات إلى المناطق والميادين غير المطروقة وغير المشهورة ،
والتى قد يجادل فيها عبيد الفرنكفونية ، الذين يحتفلون - فى
ذكرى الاحتلال - بما يروونه «إنجازات إيجابية» حملة نابليون .. لم
يقف سجل هذا العار - الذى به يحتفلون - عند الاختراق لأمن
مصر الوطنى والدينى والفكرى والثقافى .. وإنما تعداه إلى اختراق
الأمن القومى العربى أيضا .

خلق المشروع الصهيونى

● فكما سعت الحملة الفرنسية إلى اختراق الأمن الوطنى المصرى ، بتحويل نصارى مصر إلى ثغرة اختراق - بدلا من أن يكونوا لبنة فى جدار هذا الأمن الوطنى - سعت كذلك إلى تحويل الأقليات اليهودية - فى مختلف أنحاء العالم - إلى ثغرة اختراق للأمن القومى العربى ، ودعوتهم إلى مشاركة فرنسا فى إقامة إمبراطوريتها الاستعمارية فى الشرق ، مقابل اتخاذهم مواطنى أقدام لهذا المشروع الاستعمارى الغربى على أرض فلسطين !..

أى أن هذا الذى تشقى به ومنه أمتنا العربية والإسلامية الكيان الصهيونى المزروع قسرا فى فلسطين ، والذى يسعى للتصدد على الأرض ما بين النيل والفرات - بإقامة إسرائيل العظمى .. إن هذا الذى تشقى به ومنه أمتنا إنما بدأ مشروعا فرنسيا ، وارتاد ميدان الدعوة إليه بونا برت إبان حملته الفرنسية على مصر والشام ..

ففى (١٢١٣هـ ١٧٩٩م) ، وأثناء حصار بونا برت لمدينة «عكا» ، أصدر نابليون نداءه الشهير إلى الطوائف اليهودية - وهى التى نعمت تاريخيا فى الحضارة الإسلامية بما لم تحلم به فى حضارة أخرى - أصدر نداءه إلى هذه الطوائف ، داعيا إياها كى تتحالف مع جيشه الغازى ومشروعه الاستعمارى ، لتقوم بدور «ثغرة الاختراق» و «موطئ القدم» و «قفاز القبضة الاستعمارية الغربية» ، وذلك مقابل تمكينهم من أرض فلسطين ..

كان بونابرت قد احتل مصر .. وطمح فيما سبق وطمع فيه
القديس لويس التاسع : «أن يستعيد البيت المقدس إلى الفرنج عن
طريق امتلاك الديار المصرية» ! .. فأراد أن يستعين على تحقيق ذلك
باستخدام ورقة الأقليات اليهودية ، وراثتها الأسطورية حول القدس
وفلسطين .. فوجه إليها نداءه ، الذى قال فيه :

«من نابليون بونابرت ، القائد الأعلى للقوات المسلحة
للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا . إلى ورثة فلسطين
الشرعيين .

أيها الإسرائيليون ، أيها الشعب القريد .. انهضوا بقوة ، أيها
المشردون فى التيه .. لا بد من نسيان ذلك العار الذى أوقعكم
تحت نير العبودية ، وذلك الحزى الذى شل إرادتكم لألفى سنة ..
إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل .. إن الجيش الذى
أرسلتنى العناية الإلهية به .. قد اختار القدس مقرا لقيادته ، وخلال
بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة ، التى استهانت طويلا بمدينة
داود وأذلتها ..

يا ورثة فلسطين الشرعيين : إن الأمة الفرنسية .. تدعوكم إلى إرثكم
بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء^(١) !

بهذا النداء البونابرتى ، وذلك «الإحجاز» الذى بدأت الحملة
البونابرتية بدأت خيوط المأساة التى تعيشها أمتنا العربية

(١) محمد حنين هيكمل (المفاوضات السورية بين العرب وإسرائيل - الأسطورة
والإمبراطورية والنبوة اليهودية) - الكتاب الأول - ص ٣١ ، ٣٢ طبعة القاهرة سنة
١٩٩٦ م .

والإسلامية .. مأساة اختراق أمن الأمة ، واستنزاف طاقاتها ،
وقطع وحدة وطن العروبة ودار الإسلام ، وضرب مشاريع التقدم
والتححر والنهوض بالصهيونية وكيانها الإسرائيلي الاستعماري
على أرض فلسطين ..

فالحملة الفرنسية على مصر كانت البداية .. وبونابرت كان الرائد
للصهيونية الحديثة، التي وظفت الأقليات اليهودية في المشروع
الاستعماري الغربي - منذ مائتي عام - .. وبعد ذلك تابعت القوى
الاستعمارية الغربية السير وراء نابليون وفرنسا .. إنجلترا إبان
قيادتها للنمد الاستعماري الغربي على الشرق .. ثم أمريكا التي ورثت
نفوذ وهيمنة إمبراطوريات الاستعمار القديم في وطن العروبة وعالم
الإسلام ..

فهل يستحق هذا « الإنجاز » الفرنسي ، وهذه « الريادة »
البونابرتية « احتفال القرنكفونيين ؟ ! أم نقول لهم - مرة أخرى - :
شاهت الوجوه ؟ ! ..



خلق المارونية السياسية والتغريب الثقافي

● وعلى ذات الدرب .. درب الاختراق الفرنسي للأمن القومي العربي والحمى الحضارى الإسلامى .. تواصلت جهود الاستعمار الفرنسى ..

فالقديس لويس التاسع (١٢١٤ - ١٢٧٠م) الذى حلم - قبل نابليون - بامتلاك بيت المقدس عن طريق احتلال مصر ، هو الذى بدأ الإمساك بخيط «شراكة - العمالة» مع نجر من «الأقلية المارونية» منذ (٦٤٨هـ - ١٢٥٠م) ! .. فعندما لقيهم فى الشام ، قال : «نحن مقتنعون بأن هذه الأمة (الجماعة) التى تعرف باسم القديس «مارون» هى جزء من الأمة الفرنسية»^(١) !!

وعلى درب لويس التاسع تواصلت خطوات الاختراق الفرنسى لأمننا القومى ، باستخدام قطاعات من الأقلية المارونية - الكاثوليكية كفرنسا - حتى وصل الاختراق حد رفع شعار : «أمننا فرنسا» من قبل قطاع مؤثر من المارونيين ، الذين تحالفوا مع الصهيونية فى احتياجها للبنان سنة ١٩٨٢م - محققين بهذا التحالف أحلام نابليون ! ..

ولقد كان لمدارس التبشير والإرساليات الفرنسية الدور الأكبر فى هذا «الإنجاز الفرنسى» - حتى قبل الإسهام الاستعمارى

(١) محمد السماك (الأقليات بين العروبة والإسلام) ص ٧٤ - وهو ينقل عن (وثائق

المباشر من خلال معاهدة «سيكس - بيكو» (١٣٣٣هـ - ١٩١٥م) لتقسيم الولايات العربية العثمانية بين إنجلترا وفرنسا .. والاحتلال الفرنسي المباشر للشام إبان الحرب الاستعمارية العالمية الأولى .. فمدارس البعثة اليسوعية في لبنان - في القرن التاسع عشر - قد اعتبرت التعليم الذي تقدمه لأبناء الطائفة المارونية أساساً «فتحاً بواسطة اللغة» ! .. والقنصل الفرنسي هناك يعتبره «سيطرة على الشعب، تخليق جيشاً مارونياً يتفانى في خدمة فرنسا» ! .. أما «بول موفلان» Paul mavelin - أحد كبار اليسوعيين - فيكتب قائلاً : «إن تعليم الناس لغتنا - (الفرنسية) - لا يعني مجرد أن تألف ألسنتهم وأذانهم الصوت الفرنسي، بل إنه يعني فتح عقولهم وقلوبهم على الأفكار وعلى العواطف الفرنسية حتى نجعلهم فرنسيين من زاوية ما .. إن هذه السياسة تؤدي إلى فتح بلد بواسطة اللغة» !

وفي مذكرة كتبها القنصل الفرنسي ببيروت - في ١٨ ديسمبر سنة ١٨٤١م - إلى سكرتير الدولة بوزارة الخارجية الفرنسية - بباريس - يقول : «إنه حين ننشر في هذا البلد - بواسطة اللغة الفرنسية - التعليم، والأخلاق، والفنون .. فإننا سوف نسيطر على الشعب، وسيكون لفرنسا هنا، وفي كل وقت - جيش متفان» ... !

وفي مذكرة أخرى - بتاريخ ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٤٧م - كتبها القنصل الفرنسي «دي لنتين» De lattenaud إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، يصرح بأن إنشاء المدارس اليسوعية في الشام هو السبيل إلى «جعل البربرية العربية - (١١٩) - تنحني لإرادنا أمام الحضارة المسيحية الفرنسية» .. (١) .

(١) المرجع السابق . ص ٣٧ - وهو ينقل عن (مراسلات القناصل السياسية) - وزارة الخارجية الفرنسية - مجلد ٢ .

ذلك هو حديثهم - هم - عن مدارسهم وثقافتهم وفتونهم .. وعن مقاصدهم من وراء زرعها في المحيط العربي ، بواسطة المارونيين .. فهل يمثل هذا يحتفل المحتفلون ؟!

بل إن هذا «الزرع الفرنسي» في صفوف المارونيين بالشام قد تعدت تأثيراته السامة إلى ما وراء الشام ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر هاجر إلى مصر عدد من خريجي هذه المدارس الفرنسية ، فأصدروا بمصر صحفا ومجلات ، وأقاموا دورا للنشر والثقافة ، تحول الكثير منها إلى منابر للتغريب والعلمانية والتشكيك في العقائد الدينية ، ومحاولات استبدال العاميات بالعربية الفصحى .. أى تفكيك وتوهين مكونات الهوية الحضارية لأمتنا ..

وفي هذا الميدان عمل مثقفون وصحفيون - موارنة - من أمثال أمين شميل (١٢٤٣ - ١٣١٥ هـ ١٨٢٨ - ١٨٩٧ م) - أول دعاة استبدال العامية بالفصحى - .. وشبلى شميل (١٢٧٦ - ١٣٣٥ هـ ١٨٦٠ - ١٩١٧ م) المبشر بالإلحاد عن طريق الأندرونية والفلسفة الوضعية والمادية .. وفرح أنطون (١٢٩١ - ١٣٤٠ هـ ١٨٧٤ - ١٩٢٢ م) داعية العلمانية ، والمفسر لفلسفة ابن رشد (٥٢٠ - ٩٥٤ هـ ١١٢٦ - ١١٩٨ م) تفسيرا ماديا ! .. ويعقوب صروف (١٢٦٨ - ١٣٤٥ هـ ١٨٥٢ - ١٩٢٧ م) وفارس غر (١٢٧٢ - ١٣٧٠ هـ ١٨٥٦ - ١٩٥١ م) وشاهين مكاريوس (١٢٦٩ - ١٣٢٨ هـ ١٨٥٣ - ١٩١٠ م) الذين أصدروا مجلة «المقتطف» لتدس الشك واللا أدبية والإلحاد بواسطة النظريات العلمية الغربية - ذات الخلفية الفلسفية الوضعية والمادية - كما أصدروا صحيفة «المقطم» ، لتكون منبر الإعلام لسياسة الاستعمار الإنجليزي بمصر ! ..

وعن هذه المدرسة - المارونية - التي تتلمذ عليها الذين يحتفلون بحملة بونايرت - يقول ابن مصر البار، ونموذج الوطنية الصادقة، والعالم المجدد عبد الله التديم (١٢٦١ - ١٣١٣ هـ ١٨٤٥ - ١٨٩٦ م): «إنهم الأجراء.. أضداد مصر والمصريين.. المؤسسين للفتن.. والمترددين على أبواب وكلاء الدول الأجنبية بالكاذيب والأراجيف.. فأصبحوا لا شرقيين ولا غربيين، واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ أرائها ووصولها إلى مقاصدها من الشرق، وهى تحثهم على المثابرة على عملهم باسم المدنية، وماهى إلا التوحش والرجوع إلى الحيوانية المحضة.. لقد تبنت لحوم أجسامهم فى خدمة الأجنبى، فأنفعلت لها أرواحهم، فكلما حولتها عن وجهتها الغربية دارت إليها، فهى قبلة مصلأها التى وقفت فى مجراها وقوف القانت الواعظ»^(١)..

كما يتحدث التديم عن مجلة «المقتطف» (١٢٩٣ - ١٣٧١ هـ ١٨٧٦ - ١٩٥٢ م) - وهى نموذج ومثال المجلات التى تتلمذ عليها الذين يحتفلون اليوم بحملة بونايرت - فيقول عنهم وعنها: «أعداء الله وأنبيائه، والأجراء الذين أنشأوا لهم جريدة جعلوها خزانة لشرجمة كلام من لم يدينوا بدين، ممن ينسبون معجزات الأنبياء إلى الظواهر الطبيعية، والتراكيب الكيميائية، ويرجعون بالمكونات إلى المادة والطبيعة، منكرين وجود الإله الحق. وقد ستروا هذه الأباطيل تحت اسم فصول علمية، وماهى إلا معاول يهدمون بها عموم الأديان»^(٢)!

(١) مجلة (الأستاذ) الأعداد الرابع والعشرون ص ٥٦٤ - ٥٦٧ - والثاني والعشرون

ص ٥٦٠ - والسابع عشر ص ٣٨٨ - ٣٩٠. القاهرة سنة ١٣١٠ هـ

(٢) المصدر السابق العدد التاسع والثلاثون ص ٩٢٣ - ٩٢٤.

أما صحيفة «المقطم» (١٣٠٦ - ١٣٧١ هـ ١٨٨٩ - ١٩٥٢ م) ،
فلقد وصفها النديم بأنها «الجريدة الإنكليزية التي تصدر في
مصر»^(١) !! . . ووصف أصحابها بأنهم «الأجراء .. الخونة ... عملاء
الأجانب .. الذين خانوا وطنهم وسلطانهم وأهلهم وخلانهم .. وذلك
عندما داروا حول أبواب الإنكليز .. وأصدروا جريدتهم لشق عصا
الاجتماع الشرقي» !^(٢)

ذلك هو «الزرع الثقافي الفرنسي» في الشام .. وهذه هي امتداداته
البرطانية في مصر .. وهي «المدرسة» التي تتلمذ عليها الفرنكفونيون
المعاصرون ، الذين يحتفلون بالحملة الفرنسية ، والزرع الثقافي الذي
زرعته في وطن العروبة وعالم الإسلام ..



(١) المصدر السابق . العدد الثاني والأربعون ص ١٠٢٩ .

(٢) المصدر السابق . العدد التاسع والثلاثون ص ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٤٥ ، ٩٤٧ ، ٩٣٢ .

وعلى الجبهة المغربية أيضا

● ولا يحسن أحد أن محاولات الاختراق الفرنسية لأمننا الوطنى والقومى والحضارى - فى الواقع السياسى والفكرى - قد اقتصرت على ثغرات الأقليات غير الإسلامية - قبط مصر .. وموارنة لبنان .. واليهود - فلقد عمّت محاولات الاختراق هذه حتى الأقليات القومية ذات الأصول العرقية غير العربية .. وكان صنيع الاستعمار الفرنسى مع المسلمين الأمازيغ - وخاصة فى الجزائر والمغرب - نموذجاً لهذا الاختراق - من خلال الفكر والثقافة .. وفى اللغة والقانون ..

فالأمازيغ - الذين يمثلون أكبر الأقليات القومية فى الوطن العربى عدداً - ١٠٠٠ ر ١٤٠٠ (أربعة عشر مليوناً) - أى ضعف عدد كل الطوائف النصرانية العربية الثلاث عشرة - ٧٠٠٠ ر ١٠٠٠ (سبعة ملايين)^(١) - حتى وإن لم نأخذ بالآراء التى ترجعهم إلى أصول عربية قديمة - قد جمعهم الإسلام بالعرب - فى العقيدة والشريعة والثقافة والحضارة والتاريخ والقيم والأخلاق والعادات والتقاليد .. بل لقد نهضوا يدور بارز فى تكوين الدول الإسلامية، والجهاد الإسلامى والفتوحات الإسلامية .. وبسبب من كون العربية لغة القرآن ولسان الإسلام وسبيل فقه الشريعة الإسلامية والبنة

(١) رفيق البستاني ، فيليب فارح (أطلس معلومات العالم العربى) من ٣١ ، ٣٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٤ م .

النبوية، أصبحت العربية هي لغة الأمازيغ الأولى، مع بقاء لغاتهم القديمة - غير المكتوبة - متداولة، تقوم بمقام اللهجات في حفظ الموروث القومي، والمخاطبات في بعض الشئون الحياتية اليومية الدارجة..

ومع ذلك.. وجدنا مخطط الاختراق الفرنكفوني - للاستعمار الفرنسي - ولغته الفرنسية وقانونه الوضعي، يتخذ من الأمازيغ جبهة من جبهات تفكيك الأمة، بعزلهم عن العرب، وفصل إسلامهم عن اللغة العربية، وقطع الصلات بين عقيدتهم الإسلامية وبين الشريعة الإسلامية وفقه المعاملات فيها.. وذلك ليربطهم بفرنسا، وليحل لغته محل عربيّتهم، وقانونه محل شريعة الإسلام وقانونها وفقه معاملاتها..

وعن هذا المخطط الفرنكفوني يقول الكاتب الفرنسي «فيكوريكيه» - في كتابه (العنصر البربري) - الصادر سنة ١٩٢٥م - : «إننا نشاهد تغلب العربية في السهول، حيث ألسكان العرب، وهذا يمكننا تعليله بأن اللغة البربرية لا تكتب، وبأن اللغة العربية هي لغة القرآن. وقد لعبت «الكتاتيب» دوراً هاماً في الاستعراب، ولذلك فإن كل مجهوداتنا يجب أن تصب على تعليم البرابرة الفرنسية، بلا واسطة لغة أخرى. لقد هيأنا سنة ١٩٢٣م للمدرسة برنامجاً فرنسياً بربرياً له روح فرنسية كاثوليكية.. وهذه خطة حسنة لوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة التفاهم، ويمكننا بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية، كما فعلنا بالهند الصينية.

وإذا لم يمكننا عقد الأمل على رجوع البربر عن الإسلام، ونبذهم لهذا

الدين، لأن جميع الشعوب لا تبقى بدون دين في مرحلة تطورها، فيجب أن لا نخشى من ذلك، خاصة إذا تمكنا أن تفصل بين الإسلام والاستعراب.. وفصل الدين عن القانون المدني، مثلما حدث بإدخال تغييرات هامة سنة ١٩١٧م في قانون الأحوال الشخصية.. ولذلك يمكننا أن نحصر الإسلام في الاعتقاد وحده.. وعلى هذا لا يهمنا كثيرا أن تضم الديانة الشعب كله، أو أن آيات من القرآن يتلوها رجال بلغة لا يفهمونها، فالديانة الكاثوليكية تستعمل اللغة اللاتينية والإغريقية والعبرانية في قدايسها..!

فهدف المخطط الفرنكفوني - لتفتيت الأمة، من باب الثقافة - هو : علمنة الإسلام، وفرنسة اللغة، لإحلال القانون الفرنسي محل الشريعة الإسلامية وفقه معاملاتها، وإحلال الفرنسية محل العربية، وبذلك تندمج الأعراف البربرية في القانون الفرنسي، ويصبح الأمازيغ فرنسيي اللغة.. أي يتم دمجهم في الثقافة الفرنسية دمجاتا..!

وليسست هذه الثمرات والمقاصد بالاستنتاج الذي نستنتجه نحن.. وإنما هي اعترافات الأستاذ الفرنسي للحقوق في معهد الدروس العليا - «بالرباط» - «جورج سوردون» - بكتابه (مبادئ الحقوق العرفية المغربية) - الصادر بالرباط سنة ١٩٢٨م - والذي يقول فيه :

«يجب جمع العادات البربرية.. لنلا تضحل في الشرع الإسلامي.. إذا العرف ينمحي إزاء القانون.. والأولى أن نرى العرف البربري يندمج في القانون الفرنسي من أن نراه يندمج في القانون الإسلامي، لأن الأسلحة الفرنسية هي التي فتحت البلاد العربية، وهذا يخولنا اختيار التشريع الذي يجب تطبيقه في هذه البلاد..!

فهل يعي ويفهم الفرنكفونيون، الذين يزعمون أنهم إنما يحتفون ويحتفلون بثقافة فرنسا لا بمدافعها.. هل يعون المعنى الواضح لكلمات «جورج سورودون»، والتي تقول إن الأسلحة الفرنسية إنما استخدمت لتطبيق القانون الفرنسي في البلاد العربية.. فقانون نابليون هو الثمرة المدافع نابليون !!

وهذا الذي كتبه «الأساتذة» و«الكتاب» الفرنسيون.. هو ذاته الذي طبقته السلطة الاستعمارية الفرنسية.. فالمقيم العام الفرنسي - بالمغرب - المارشال «ليوتي»، يصدر أوامره إلى وزارة العدل باستبعاد اللغة العربية، وفك ارتباطها بالإسلام، لدمج البربر في فرنسا - عن طريق اللغة الفرنسية والقانون الفرنسي - فيقول في أوامره: «إنه لخطأ فاحش التصرف بشكل يساعد على إعادة إحياء العلاقة بين العرب والبربر. ولا حاجة في تعليم العربية للبربر، فالعربية هي راند الإسلام، لأن هذه اللغة تُعَلَّم من القرآن، ومصلحتنا هي أن نمدن البربر خارج دائرة الإسلام. وأما ما يتعلق باللغة، فيجب علينا أن نضمن الانتقال مباشرة من البربرية إلى الفرنسية بدون واسطة...»^(١)

تلك هي مخططات الاختراق الفرنسي لأمننا الفكري والثقافي - في الدين والدنيا - على المستوى الوطني والقومي والخصاري.. فأين ياترى هذه «الثقافة المجردة» - الخالصة من شبهات الغزو والحرب - التي يحتفل بها الفرنكفونيون ؟ ! ..



(١) د. محمد عمارة (الإسلام والتعددية: التنوع والاختلاف في إطار الوحدة) ص ٢٧٦ - ٢٧٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٧ م.

وخرافة المطبعة .. والمجمع العلمي

وإذا كنا قد كشفنا خرافة الإنجازات السياسية والإدارية والديمقراطية التي يزعم الفرنكفونيون أن بونايرت قد أدخلها إلى مصر - بما أنشأ من «ديوان المشورة» - عندما كشفنا - نقلاً عن الجبرتي - أن هذه المؤسسات كانت أداة القمع الفرنسي ، التي عُلِّبَ في عضويتها «أرادل القبط» و «النصارى الأروام» الذين خانوا وطنهم مصر - .. فإن مزاعم الفرنكفونيين حول «المطبعة» التي جاء بها بونايرت إلى مصر .. وكذلك «المجمع العلمي المصري» الذي أسسه ببلاطنا .. إن هذه المزاعم هي ألوان من الخرافات التي لا أصل لها في التاريخ ..

فبونايرت - وهو في طريقه إلى مصر - «أحضر معه مطبعة البر وياجندا» من «إيطاليا» لطبع بها بيانات التضليل للشعب المصري، تلك التي زعم فيها أنه مسلم أكثر من المماليك، وتصير خليفة المسلمين، على عكس المماليك ... ثم خرجت هذه المطبعة من مصر بخروج الحملة الفرنسية^(١) فلم يكن لها أي أثر ثقافي يبرر احتفال الفرنكفونيين !

أما المطبعة التي نهضت بالدور الريادي في ثقافة مصر العربية والإسلامية - مطبعة بولاق - الأميرية - فهي التي فكر محمد علي باشا (١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ - ١٧٧٠ - ١٨٤٩ م) في إنشائها (١٢٣٠ هـ - ١٨١٥ م) واشتراها

(١) د . جمال الدين الشيال (تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي) ص ١٩٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٥١ م .

من مال الدولة المصرية، وبدأ إنتاجها - على الأرجح - (١٢٣٥هـ - ١٨٢٠م)^(١) وهي مطبعة وطنية .. أميرية .. قامت في بولاق .. ولا علاقة لها بمطبعة «البر وباجندا» التي جلبها نابليون من الفاتيكان، ليضلل المصريين بمنشوراتها ..

فهل يحتفل الفرنكفونيون بمطبعة «البر وباجندا» وما صدر عنها من أضاليل؟! ..

أما «المجمع العلمي المصري»، الذي يزعم الفرنكفونيون أن نابليون قد أسسه - فإنه - هو الآخر - خرافة من الخرافات .. فالبعثة العلمية الفرنسية التي صبحت جيش الحملة البونابرتية، قد جاءت لتدرس الواقع المصري، حتى يستطيع الغزاة حكمه .. ولتدرس الشخصية المصرية، حتى يسهل على المستعمرين السيطرة عليها .. ثم انسحبت هذه البعثة - مع جيش الاحتلال (١٢١٦هـ - ١٨٠١م) .. ولا علاقة لهذه البعثة الفرنسية - التي واصلت أبحاثها بعد الجلاء في فرنسا - لا علاقة لها، بالمجمع العلمي المصري، على الإطلاق .. فالمجمع العلمي المصري هو مجمع وطني، قام في سنة ١٨٥٩م - على عهد الخديوي سعيد (١٢٧٠ - ١٢٧٩هـ - ١٨٥٤ - ١٨٦٢م) - أي بعد ما يقرب من ستين عاما على جلاء الحملة الفرنسية والبعثة العلمية الفرنسية التي صحتها!! ..

في أي مطبعة .. وبأي مجمع يحتفل الفرنكفونيون؟! ..

وبأي ثقافة يحتفون؟! ..

لقد كان الدكتور طه حسين (١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ - ١٨٨٩ - ١٩٧٣م) شجاعا، عندما اعترف - في لحظة صدق مع واقع التغريب - بأن التبعية

(١) المصدر السابق . ص ١٩٥ .

الفكرية لأوربا هي «إلزام، أكثر منها» التزام، أو «اختيار».. فقال في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) - الذي ألفه عقب معاهدة سنة ١٩٣٦م - بين مصر وإنجلترا - ومعاهدة الامتيازات الأجنبية سنة ١٩٣٨م - :

«لقد التزمنا أمام أوربا أن نذهب مذهبها في الحكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلك طريقها في التشريع. التزمنا هذا كله أمام أوربا. وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال - (١٩٣٦م) - ومعاهدة إلغاء الامتيازات - (١٩٣٨م) - إلا التزاما صريحا قاطعا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الأوربيين في الحكم والإدارة والتشريع...»^(١)

ولقد بدأ هذا الإلزام بحملة بونابرت .. وما أحدثته من اختراقات لأمننا الوطني والقومي والخصارى - في الفكر .. والثقافة .. والقيم .. والتشريع .. واللغة .. والأخلاق - ..

ويشهد على ذلك أيضا أن الفرنكفونيين - الذين يحتفلون بهذا الاختراق البونابرتي .. إنما يصنعون ذلك لأن ثقافتهم هي عين ثقافة هذا الاختراق .. فهم امتدادات سرطانية لهذا الاختراق الذي به يحتفلون ويحتفلون ! .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

لكن العزاء هو في رفض الأمة لهذا الانحدار ، الذي سقط فيه خلفاء «المعلم يعقوب اللعين» !

(١) (مستقبل الثقافة في مصر) ج ١ ص ٣٦ ، ٣٧ . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

أوراق ووثائق الاختراق

- ١ - «الإعلان - الإنذار» الموجه من بونابرت إلى المصريين ..
- ٢ - جيش الخيانة الوطنية :- (وصف الجبرتي للفيلق القبطي ،
الذى كوته وقاده المعلم يعقوب) .
- ٣ - رثاء الخيانة للاحتلال : القصيدة الزجلية التى رثى بها المعلم
يعقوب الجنرال الفرنسى «ديزيه» ..
- ٤ - وصية الجنرال يعقوب بتبعية مصر لإنجلترا - بعد فشل
الحملة الفرنسية - ..
- ٥ - إعلان الولاء لبونابرت : رسالة رفاق الجنرال يعقوب إلى
بونابرت - عارضين الولاء والخدمات ..
- ٦ - اختراق إفريقيا بواسطة مصر : رسالة رفاق الجنرال
يعقوب إلى وزير الخارجية الفرنسى ..
- ٧ - واختراق منظومة القيم : وصف الجبرتي لطرف مما
أحدثته الحملة الفرنسية على جبهة القيم الإسلامية
والشرقية ..

١- إعلان بونايرت إلى المصريين

(كانت باكورة مطبوعات مطبعة «البروباجندا» - التي جاء بها بونايرت إلى مصر - والتي يزعم الفرنكفونيون أنهم يحتفلون بإنجازاتها في تنوير مصر والمصريين - هذا الإعلان - الإنذار ، الذي وجهه بونايرت إلى المصريين عند بدء احتلاله لديارهم ..

وجميع ما فى هذا الإعلان : أكاذيب : وتهديد ووعيد ! ..

● ففى الوقت الذى لم يستطع فيه بونايرت إخفاء حقيقة أن عداؤه للمماليك المصرية إنما سببه الضرائب التى كانوا يحصلونها من التجار الفرنسيين - «فهم يتعاملوا بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنسية، ويظلموا تجارها بأنواع البُلص (الإناءات) - والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم» - !

وهو اعتراف منه بجانب من الأسباب الاقتصادية للحملة ..

● تراه يزعم أن غزوته هذه إنما هى تنفيذ للقدر الإلهى - «قرب العالمين، القادر على كل شيء، قد حتم على انقضاء دولتهم» - (أى دولة المماليك) - ..

● وعندما كذب بونايرت كذبه الكبرى - فى هذا الإعلان - فزعم : أنه ، «والفرنساوية مسلمين خائضين .. وأنه أكثر من المماليك، يعبد الله - سبحانه وتعالى - ، ويحترم نبيه محمد، والقرآن العظيم» .!

كشّف المصريون - بالفطرة الإسلامية - رغم عدم اطلاعهم يومئذ على الفلسفات الأوروبية - كشفوا «وضعية .. ومادية ..

ودهرية .. وإلحاد» بونابرت وحملته وفكرية الدولة الفرنسية .. فقال الجبرتي - معلقا على كذبة بونابرت هذه - : «لا شك أن هذا خبل في العقل، وغلو في الجهل. أي عبادة - فضلا عن كثرتها - مع كفر غطى على فؤاده، وحجبه عن الوصول إلى رشاده؟! ولو احترمت نبينا لاحترام أمته .. إن إسلامهم نصب .. ولقد خالفوا النصارى والمسلمين، وهم دهرية معطلون، وللمعاد والحشر منكرون، وللنبوة والرسالة جاحدون» (١)

و «المضحك - المبكى» ، أنه في الوقت الذي كانت فيه مطبعة بونابرت تحدث المصريين - لتخدعهم - عن «إسلامه» ، وعبادته لله ، واحترامه لنبي الإسلام ، وقرآنه العظيم» .. كانت ذات المطبعة تطبع - في صحف الحملة الفرنسية - الأشعار التي تتحدث عن بونابرت باعتباره «الإله» الذي يقود جيشا من الأبطال .. والذي لا بد لآلهة الأخرى أن تطأطئ له الرؤوس ! .. ففي قصيدة «المواطن جالان» يتحدث عن بونابرت فيقول :

«من هو هذا الإله الذي يتقدم، ويندفع كالبرق في الممرات الخالدة.

فيجعلنا نؤمن بالوهم والخيال.

يا آلهة اليونان وروما طائفوا رؤوسكم الشامخة.

أيها القزاة القدامى، لقد كان تعطشكم للمجد وحده هو الذي يقودكم إلى النصر.

أما بونابرت فله وحده ينبغي تقديم القرابين.

(١) (مظهر التفديس يزوال دولة الفرنسيين) ص ٣٤ تحقيق : حسن محمد جوهر .
وعمر الدسوقي طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م .

فهو إله يقود جيو شامن الأبطال! (٢)

❶ وإذا كان بونا برت لم يدع الألوهية في المنشورات التي وجهها للشعب المصري .. فلقد ادعى أنه مبعوث العناية الإلهية ، الذي تحدثت آيات القرآن عن حملته على مصر ! .. لقد افترى فزعم أنه علام الغيوب ، الذي يعلم سرائر النفوس والقلوب ! .. فخطب المصريين وقال :

«أيها العلماء والأشراف. أعلموا أمتكم أن الذي يعباديني ويخاصمني إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فكره، فلا يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه مني في هذا العالم، ولا ينجو من يد الله لمعارضته لمقادير الله سبحانه وتعالى .. والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله وإرادته وقضائه .. والقرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل ..

واعلموا أيضا أنني أقدر على إظهار ما في نفس كل واحد منكم، لأنني أعرف أحوال الشخص وما انطوى عليه بمجر ما أراه .. إن كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهي لا يرد، وإن اجتهد الإنسان غاية جهده لا يمنع عن قضاء الله الذي قدره وأجراه على يدي» !!

ولقد وصف الجبرتي هذا «الافتراء البونا برتي» فقال : «إنها تمويهات على العقول، وتسلق على دعوى الخواص من البشر، بفساد التخييلات التي تنادي على بطلانها بديهة العقل، فضلا عن النظر» (٣)

(٢) صلاح البستاني (صحف بونا برت في مصر) ج ٢ ص ٣٢٠ . طبعة القاهرة .

(٣) (عجائب الآثار) ج ٥ ص ٤ - ٦ .

هذا عن أحد نماذج الكذب والشرك والهزطقة فيما طبعته
مطبعة حملة بونابرت في مصر ..

● أما عن الإنذارات والتهديدات وألوان الوعيد .. فيكفى أن
تعرف أن بونابرت قد طلب من المذن والقرى المصرية ، التي تمر بها
جيوش الحملة ، والواقعة على مسافة مسيرة ثلاث ساعات من
طرق مرور الجيوش - أن تعلن استسلامها وخضوعها ، برفع الأعلام
الفرنسية - «نُصَّب السناجق الفرنسية» ، الذي هو أبيض وكحلي
وأحمر» - وأن جزاء المقاومة ، وعدم إعلان الاستسلام هو الحرق
بالنار ! «فكل قرية تقوم على العسكر الفرنسية تنحرق بالنار» ! بل
إن مقابر الموتى لم تسلم من الهدم «خوفا من تترس المحاربين بها» ! ..
كما يقول الجبرتي^(٤) .

ولأن مصر لم تستسلم .. ولم ترفع رايات الخضوع ، و «تنصب
السناجق الفرنسية» .. فلقد كان مرور جيش بونابرت يتم بين
قرى مدمرة ومحرقة ، على امتداد مسيرة ثلاث ساعات ، عن
اليمن وعن الشمال !! ..

وعلى امتداد سنوات الاحتلال الثلاث .. ثارت أغلب القرى
والمدن المصرية .. وطبق الفرنسيون هذا الوعيد - الذي جاء
بالإعلان الذي كان باكورة مطبعة نابليون ! - ..



أما النص الكامل لهذا الإعلان - الإنذار - فهو :

(٤) (مظهر التقديس) ص ٣١٣ .

لا ولد له ولا شريك في ملكه

من طرف الجمهور الفرانساوي ، المبني على أساس الحرية والتسوية ، السر عسكر^(٥) الكبير بونا برته ، أمير الجيوش الفرانساوية . يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمان مديد السناجق^(٦) الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملوا بالذل والاحتقار في حق الملة^(٧) الفرانساوية ويظلموا تجارها بأنواع البلص^(٨) والتعدي فحضر الآن ساعة عقوبتهم .

وحسرتا ، من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من جبال الأبازا^(٩) والكرجستان^(١٠) يفسدوا في الإقليم الأحسن الذي يوجد في كرة الأرض كلها ، فأما رب العالمين القادر على كل شيء قد حتم على انقضاء ولتهم .

يا أيها المصريين . قد يقولوا لكم إنني ما نزلت في هذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه ، وقولوا للمفترين : إنني ما قدمت إليكم إلا لكيما أخلص حقكم من يد الظالمين وإنني أكثر من الممالك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه محمد والقرآن العظيم .

(٥) أي القائد العام . وكانت تكتب - أحيانا - «ساري عسكر» و «ساري عكر» والصاري : العمود الذي يرفع عليه العلم .

(٦) مفردا «سنجق» تطلق على الإقليم ... وعلى حاكمه ..

(٧) الملة : الأمة .. (٨) مفردا : بلصة .. وهي الإنابة .

(٩) أي قبيلة «أباظة» التركسية . (١٠) الكرج : في جورجيا الحالية : بوسط آسيا .

وقولوا أيضا لهم : إن جميع الناس متساويين عند الله ، وإن
الشيء الذي يفرقهم من بعضهم بعضا فهو العقل والفضائل والعلوم
فقط . وبين المماليك ما العقل والفضائل والمعرفة التي تميزهم عن
الآخرين وتستوجب أنهم يتملكوا وحدهم كلها^(١١) يحلوا به
حيات^(١٢) الدنيا .

حينما يوجد أرض مخصصة فهي مختصة للمماليك ، والجواري
الأجمل والخييل الأحسن والمساكن الأشهى فهذا كله لهم خاصا .
إن كانت الأرض المصرية التزام^(١٣) للمماليك فليورثوا
الحجبت^(١٤) التي كتبها لهم الله ، فلكن رب العالمين هو رؤوفا
وعادل على البشر ، بعونه تعالى من اليوم فصاعدا لا يستثنى أحدا
من أهالي مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب
المراتب العالية ، فالعقلا والفضلا والعلماء بينهم سيدبروا الأمور ،
وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

سابقا فى الأراضي المصرية كانت المدن المعظمة ،
والخليجات^(١٥) الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله
إلا الطمع وظلم المماليك .

إيها القضاة^(١٦) والمشايخ والأئمة (الائمة) ويأئوها

(١١) أى : كل ما .

(١٢) أى : حياة .

(١٣) الالتزام : شكل من أشكال الاستغلال الإقطاعى للأرض ، ظل سائدا حتى عصر
محمد على باشا .

(١٤) أى حجة ووثيقة الالتزام والاختصاص .

(١٥) أى الخليجان . الأراضي الخصبة التي كانت قبل زراعتها تملجانا ، تجري فيها المياه .

(١٦) أى القضاة .

الشورباجية^(١٧) وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم : إن الفرانساوية هم أيضا مسلمين خالصين^(١٨) ، وإثباتا لذلك قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان يحث دائما النصارا على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواليريّة^(١٩) الذين كانوا يزعموا أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين . ومع ذلك الفرانساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا المحبين الأخلصين لحضرة السلطان العثمانلى ، وأعدا أعداياه^(٢٠) ، أدام الله ملكه .

وبالمقلوب المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممثلين لأمره فما طاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم .

طوبى ثم الطوبى لأهالى مصر الذين يتفقوا معنا بلا تأخير فيصلح حالهم ويعلو مراتبهم طوبى أيضا للذين يقعدوا فى مساكنهم غير مايلين لأحد من الفريقين المحاربين فإذا يعرفونا بالأكثر يتسارعوا إلينا بكل قلب .

لكن الويل ثم الويل للذين يتحدوا مع المماليك ويساعدوهم فى الحرب علينا فلا يجدوا طريق الخلاص ولا يبقى منهم أثر .

المادة الأولى

جميع القرى الواقعة فى دايرة قريبة بثلاثة ساعات عن المواضع التى يصرّ بها العسكر الفرانساوى فواجب عليها أنها ترسل للسرا عسكر

(١٧) مفردا : شوربجي ... وهم الوجهاء .

(١٨) أى مخلصين وصادقين .

(١٩) هم فرسان القديس يوحنا ، طائفة قامت بعد الحروب الصليبية ، احترقوا القرصنة والاعتداء على تجارة المسلمين وأملاكهم .

(٢٠) أى : الأكثر عداا لأعداء السلطان .

بعض وكلا من عندهما لكيما يعرفوا المشار إليهم أنهم طاعوا وأنهم نصبوا
السنجاق الفرنسي الذي هو أبيض وكحلي وأحمر^(٢١)

المادة الثانية

كل قرية التي تقوم على العسكر الفرنسي تنحرق بالنار .

المادة الثالثة

كل قرية التي تطيع العسكر الفرنسي الواجب عليها نصب
السنجاق الفرنسي وأيضا نصب سنجاق السلطان العثماني
محبنا ، دام بقاءه .

المادة الرابعة

المشايع في كل بلد ليختتموا حالا جميع الأرزاق والبيوت
والأملاك بتاع الممالك ، وعليهم الاجتهاد الزايد لكيلا يضع أدينا
شي منها .

المادة الخامسة

الواجب على المشايخ والقضات والأئمة أنهم يلازموا وظائفهم .
وعلى كل واحد من أهالي البلد أنه يبقى في مسكنه مطمئن ،
وكذلك تكون الصلات^(٢٢) قائمة في الجوامع على العادة ، والمصريين
بأجمعهم ليشكروا فضل الله سبحانه وتعالى من انقراض

(٢١) أي رفعوا العلم الفرنسي : إعلانا للخضوع وعدم المقاومة .

(٢٢) أي الصلاة .

دولت^(٢٣) المماليك قايلين بصوت عالى : أدام الله إجلال السلطان
العثمانلى ، أدام الله إجلال العسكر الفرانساوى ، لعن الله المماليك ،
وأصلح حال الأمة المصرية .

تحرير بمعسكر إسكندرية فى ١٣ من شهر مسيدور سنة ٦ من
إقامة الجُمهور الفرانساوى ، يعنى فى أواخر شهر محرم سنة
١٢١٣^(٢٤) هجرية .

(٢٣) أى دولة .

(٢٤) كان وصول جيش بوناپورت إلى الاسكندرية - وإذاعة هذا البيان - فى ١٧ محرم
سنة ١٢١٣ هـ الموافق أول يوليو سنة ١٧٩٨ م . انظر : (التوقيعات الإنهامية فى
مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية) ل محمد مختار باشا .
ص ١٢٥ . دراسة وتحقيق : د محمد عمارة . طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م .
(ولقد رجعنا فى نص «الإعلان» إلى ملاحق كتاب «المعلم يعقوب بين الحقيقة
والأسطورة» ص ١٠٥ - ١٠٨) .

٢ - جيش الخيانة الوطنية

(وإذا كانت مصر قد عرفت الكثير من الغزوات والغزاة . . ولم تعدم أن يبرق أحاد من أبنائها عن الوطنية ، فيميل إلى هؤلاء الغزاة . . فإن الاختراق الفرنسي لأبناء الطوائف غير المسلمة قد بلغ بالخيانة حداً غير مسبوق في تاريخ مصر والمصريين . . فلقد تكونت للخيانة «فيالق» عسكرية ، حاربت الشعب مع جيش الاحتلال . . حدث ذلك من «أراذل القبط» - الذين قادهم المعلم «يعقوب حنا» - . . ومن النصاري الأروام . . والنصارى الشوام - الذين قادهم أمثال «ملطى» و «فرط الأرمان» ! - . .

ولقد صور الجبرتي القلعة العسكرية المحصنة ، التي أقامها «يعقوب اللعين» بقلب القاهرة ، مقرّاً لقيادة الفيلق القبطي ، الذي جنده ، وقاده مشاركاً به في فتح مدن وقرى الصعيد . . صور الجبرتي ذلك ، فقال :

«ومنها - (أي ومن أحداث هذه المحنة) :

أن يعقوب القبطي اللعين، لما تظاهر مع الفرنسيات، وقلده «نصاري عسكر القبطة»، جمع شبان القبط، وحلق لحاهم، وزياهم بزي مثابه لعسكر الفرنسيات، مميّزا عنهم بقبعات يلبسونها على رؤوسهم، مشابهة لشكل البرنيطة، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم في غاية البشاعة، مع ما يضاف إليها من قبح صورهم، وسواد

أجسامهم، وزفارة أبدانهم، وجعلهم عسكريه وعزوته. وجمعهم من أقصى الصعيد .

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى - التي هو ساكن بها - خلف الجامع الأحمر . وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم ، وأبراج ، وباب كبير ، يحيط به بدنان عظام .

وكذلك بنى أبراجاً في ظاهر الحارة ، جهة بركة الأزبكية . وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقتان للمدافع وبنادق الرصاص - على هيئة سور مصر ، الذي رمه الفرنسيون . -

ورتب على باب القلعة ، الخارج والداخل ، عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهاراً ، وبأيديهم البنادق ، على طريقة الفرنسيين . (١)

(١) (مظهر التمدد) ص ٣١١ ، ٣١٢ .

٣- رثاء الخيانة للاحتلال

(. . . وإذا كانت الخيانة ، التي أوجدتها ورعتها الحملة الفرنسية في مصر ، قد مثلت اختراقا للوطنية والأمن الوطني ، في صورة «الفيلق القبطي» ، الذي قاده «المعلم يعقوب حنا» والذي شارك الجيش الفرنسي - تحت قيادة الجنرال «ديزيه» - في فتح وهدم وإحراق مدن وقرى الصعيد ، وقتل الأحرار ، واغتصاب الخرائر . . . فإن هذه الخيانة قد بلغت بالمعلم يعقوب - الذي يرى فيه المتغربون والفرانكفونيون رائد «الاستقلال» المصري !! - حد الرثاء المتوله للضابط الفرنسي الجنرال «ديزيه» - عندما قتل بإيطاليا سنة ١٨٠٠م - فرثاه يعقوب بقصيدة من الزجل الركيك ، تحدث فيها عن «بطولته» وشجاعته في إخضاع وترويض البرابرة ، أعداء الله والبشر ، من أهل مصر . !)

وهذا هو نص الرثاء - الذي يستحق الرثاء - !) .

إنا لله وإنا إليه راجعون

الحمد لله محرك آلات الألسن الأوانس ، بأنعام اللغات الدوامس^(١) ، وكاشف الغطاء الدلامس^(٢) ، عن الآثار الدوامس^(٣) .
نحمده حمدا وشكرا لائقا بإله مبدع وخالق ، بارئ المبرورات والخلائق ، مكور الأرض والسماوات ، يصور الأحياء والأموات ، يميز

(٢) المظلم .

(١) الخفية . والدّمس : هو الدفن والإخفاء .

(٣) التي درست ، فلم يعد لها وجود .

النفائس من الخسائس . فلا إله غيره ، ولا خير إلا خيره ، وهو
المالك والسايس أمين .

وبعد ، فهذا دعاء جليل سديد ، به ننتحب وفات^(٤) عزيزه ،
الجنرال داسة^(٥) صاحب الأمير يعقوب ، سارى عسكر القبط
الجديد ، فيقول

أذرفنا على ذكر الحبيب دموعا
سكرنا بها ليوم البعث والحشر
حبيباً وقد ذاع صيته أبدا
بطل وقد عرف فى سائر القطر
فتلاأت شجاعته وعقله ثم فطنته
وشرح احتقاره الدنيا بالنظم والنسر^(٦)
وقد فاز بها على الممالك إجمالا
ظافر بأرقابهم^(٧) نصرا بالعز والقهر
وأخضع تشامخ جماعة البربر
مروضا أخلاق أهل إقليمنا^(٨) المصر

(٤) أى : وفاة .

(٥) الجنرال «ديزيه» .

(٦) أى : النصر .

(٧) المراد : الرقاب ، جمع رقية .

(٨) لا يخلج المعلم يعقوب من جعل إخضاع أهل مصر وترويضهم فضائل الجنرال

ديزيه ويزيد على ذلك فيصف أهل مصر بالبربر

بل وأهل تيبايس^(٩) المثمرة ومن
 كان قاطنا بالبر ثم والقفر
 فاعجب من كان محبوبا ثم مرغوبا
 حتى ومن كادهم بالحرب وألقاهم
 داسه فاتح بلادنا بناحية قبلى
 يضرب ويشقى ولا يدنو إلى الغدر
 صنديد مجاهد وخصم محارب ولكنه
 طبيب مداوى الجراح بالزيت والخمر
 فأها على ناصري داسه ووا أسفى
 على اصطحابى به لو قدر القدر
 فكنت أرغب وجودى بميدانى مارنجوا^(١٠)
 كما رافقته قَبْلاً بصعيدنا النصرى
 فكنت أرجو وجودى لمعاونة عزى
 كما صاحبته قبلاً بالعز والنصر
 فموتى عنه قداءً كان يغنيه
 عن فقد حياة مفيدة ذكرها دهر
 أموت عن من حياته دوامها نفع
 ودوامها خير عام والفخر والظفر

(٩) أهل دطية - أي الأتصر - بصعيد مصر - يفتخر بإذلال عاصمة مصر الفرعونية !

(١٠) مكان المعركة التى قتل فيها ديزيه - بإيطاليا - سنة ١٨٠٠ م .

ولكنه وإن مات فهو حي وما
زال ذكــــوره من دهر إلى دهر
ولم يزل يفكرى مــــخلدا أبدا
حتى إلى خروج الروح من صدرى
وظلُّ نفسه الجميلة محتف أنوارا
متدبرا بالتساع^(١١) قضاء الجو كالقمر
فيصطحب مع الأقدمين مشتركا
يمزيتنا ببهاء أشعة الحب للبشر
ويشاهد عيانا برج حظ بونابارته
وما خصه الله من العظومات والقدر
وباتحاد^(١٢) مربع وبهذا القدر مستغرب
يرجف البربر أعداء الله والبشر
فيحصل الخير وينجح أهل مشرقنا
ويعود النظام وترا^(١٣) النفع قد صدر
فيا من قطن ببلدة الأحياء والقبطة
ونفسك هناك تحضى^(١٤) داخل الخدر

(١١) أى بتدبير حوله القضاء . وهو مركزه . كالقمر .

(١٢) أى اتحاد . . وغموص المعنى يقل فى ضوء حديث النبىء السابق عن «برج حظ بونابارته» . . ففيه إشارة لمصطلحات فى أبراج الحظ .

(١٣) أى : ترى

(١٤) أى : تحظى .

جُد علىّ بلحظ العين متراًفنا
وانظر إلىّ بأسنى برقة البصر
فانظر إلى شعبنا وشقاء حالته
فغدت حياتنا لا تخلو من الكدر
لاحظ المصريين وكيف كانوا قديما
وعبيدا غدوا الآن للرق واليسر^(١٥)
فكم كنت تعجب أنت من مفاخرهم
وتيبايس^(١٦) القديمة يعلق ذكرها الخبر
فمنك نرجو الشفاعة يامعضد الأول
فلا تدع مصرنا لسابق القهر
ومن بعد حكم الفرنسيين أعواما
فلا تسبّها حاكم يسوس بالقصر
وإذا خلّيت^(١٧) بصلح عمام منتقلة
من يد ليد حاكم متعجرف ومفتّر
فمنك ملابسون ياداسه بأجمعنا
واسمك بباريس حمانا ياشائع الذكر
فبنا اعتنى لدوامنا بناحية قبلى
لتنجوا بحياتنا من الموت والحسر

(١٥) أى : الأسرا . . . (١٦) أى طيبة - الأنصر - . . .

(١٧) أى جلا عنها جيش الحملة الفرنسية .

فتنقذ بنيك^(١٨) من كل نائبة
 فإنهم بأعدائهم في أعظم الخطر
 والآن غضبهم تفاقم ضد أمتنا
 ولحبنا الفرنسيس قصدهم نكس القبر
 ومحبتنا للفرنسيس فلا بد عنها
 لأنهم اعتقونا من الأضرار والشر
 ثم انتهى مقالى إليك ياربى
 تجزى لداسه أعماله بالخير والأجر^(١٩)

(١٨) يتحدث عن المصريين باعتبارهم أبناء الجئرال «ديريه» ! ..

(١٩) اعتمدنا في هذا النص على ملاحق كتاب (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة)

ص ١٠١ - ١٠٤

٤- وصية يعقوب بتبعية مصر لإنجلترا

(.. أما وصية المعلم يعقوب إلى إنجلترا ، لتعمل على أن تحل محل فرنسا - بعد فشل حملة بوناپرت - في إخضاع مصر لتبعيةها ، والسيطرة على ثروتها ، وعزلها عن هويتها الحضارية ، وأمتها العربية والإسلامية ، واستخدام القوة الأجنبية في هذا الإخضاع ..

وهي الوصية التي رفعها إلى وزير البحرية البريطانية «الإيرل سان فنسنت» ، بواسطة القبطان «أدموندس» - قائد الفرقاطة «بالاس» - التي أقلت يعقوب وجنود الحملة الفرنسية من الإسكندرية إلى مرسيليا ...
فهذا هو نصها (:

مذكرات مرفوعة للقبطان جوزيف إدموندس لتذكيره مستقبلا
بالنقاط الرئيسة لأحاديثنا السياسية على ظهر سفينته

١ -

إن الكتاب المرفقة به هذه المذكرات موجه إلى فخامة اللورد^(١).

(١) أي اللورد «كيث» ، الرئيس المباشر للقبطان «إدموندس» . . . وجدير بالذكر أن هذا النص هو حصيلة أفكار «يعقوب حنا» ، ترجمها مراقب له على السفينة «بالاس» اسمه «لاسكاريس» ، وصاغه القبطان «أدموندس» . . . ولقد رجعنا فيه إلى ملاحق كتاب (المعلم يعقوب بين الحقيقة والأسطورة) ص ١٢٦ - ١٢٧

وهو يبدو للوهلة الأولى مجرد التماس بسيط يرجوه أن يهتم بهنا نحن
المصريين التعساء . ولكن من الضروري في الحقيقة أن ينظر إليه
على أنه ملخص للأحداث السياسية التي دارت بيننا على ظهر
السفينة .

ولما كان من عدم التبصر في الوقت الحاضر عرض نخطتنا
بشكل أكثر تفصيلا ، فإن هذه المذكرات الموجزة المكتوبة على
عجل يمكن أن تكون كافية لتذكيرك بأهم نقاط أحداثنا . وعندما
يجين الوقت الملائم لرفعك إياها مباشرة إلى حكومتك أو لإيلاغها
لفخامة اللورد ، فإن المصريين ، لوثوقهم في سجاياك الكريمة ،
يتركون لحسن فطنتك أن تشير اهتمام فخامة اللورد بقضيتهم ،
حتى يمكن أن يكون لنا سندا ، سواء بما سوف يكتبه إلى مجلس
الوزراء البريطاني ، أو بما سوف يقوم به عند عودته إلى إنجلترا . وإنما
لنؤكد أن فخامة اللورد سوف ينتصر بذلك لقضية فيها نافع لبلاده ،
وليس هناك ما يمكن أن يكون أسمى غاية لسعي لورد نبيل مثله .

- ٢ -

إذا افترضنا أن ما سوف يعرضه «الوفد المصرى لدى الحكومات
الأوروبية» ، باسم المصريين الذين فوضوه ، يبدو قليل الأهمية في
نظر تلك الحكومات ، فإنكم بآسيادة القبطان توافقونا على الأقل
على أن الدول الأوروبية لن تفعل أمجد أو أكرم من أن تبدد بقرار
سياسى بسيط ظلمات الجهل والهمجية التي تخيم على هذه البلاد
الدائعة الصيت . لقد كانت هذه البلاد مهذا لاستنارتنا ولعلمونا

وفنوننا . ومجمل القول أنها كانت المركز الأول للحضارة التي نقلها عنها اليونان ومنها وصلت إلينا . وإذا كانت مصر بماضيتها المزدهر العظيم لا تستطيع أن تثير في دول أوربا شعور العرفان بصنيعها وما لها من فضل ، فهي تستطيع على الأقل أن تثير فيها شعور العطف عليها . فإذا ما تحقق ذلك وردوا إليها أمرها أمكنها أن ترضى كل الدول الطامعة فيها ، دون أن تهدد واحدة منها في مصالحها .

- ٣ -

لن يمضى وقت طويل حتى تؤيد بريطانيا حل القضية المصرية على الأسس التالية . . وفى هذه الأثناء قد تقدم الحكومة الفرنسية نفسها باقتراح ذلك ، وعندئذ ينبغي ألا تنسى الحكومة الإنجليزية أن ما يقترح إنما هو نتيجة جهود الوفد المصرى فى باريس . ومن ثم فليس هناك ما يدعو إلى أن تنظر الحكومة الإنجليزية إلى ذلك بشيء من الريبة . وإذا ما تقدمت فرنسا بمثل هذا المشروع السياسى ، فإنها سوف تفعل ذلك على سبيل المجاملة ، لأن مصلحتها فى نجاح المشروع أقل من مصلحة بريطانيا . والذى لا شك فيه أن حكومة الجمهورية الفرنسية لا تزال راغبة فى امتلاك مصر مرة أخرى .

- ٤ -

توشك الإمبراطورية العثمانية على الانتهاء . ولذا فيهم الإنجليز قبل أن تقع الواقعة أن يلتمسوا أنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل

لهم الإفادة من ذلك الحدث عند وقوعه فيحققوا مصالحهم السياسية. وإذا كان من المستحيل عليهم أن يستعمروا مصر - كما استحال ذلك من قبل على فرنسا - فيكفى أن تخضع مصر المستقلة لنفوذ بريطانيا صاحبة التفوق في البحار المحيطة بها. ولا شك في أن استقلال مصر سوف يحقق لها رخاءها، ولكنها لن تكون إلا دولة زراعية غنية بحاصلاتها الوفيرة التي تنتجها تربتها الخصبة وبتجارتها التي تنفرد بها مع قلب إفريقيا .

وهذه المزاي سوف تعود بالقائدة على بريطانيا التي يهملها - بحكم مركزها في الهند - أن تتاجر مع مصر وما حولها .

٥ -

لقد كان مراد بك^(١) يقول - وربما كان على حق - أن كفار الغرب (هكذا كان يسمى الدول الأوربية) أصبحوا يعرفون مصر معرفة تامة ، وأن الكل يسعى للاستيلاء عليها ، مما سيجعل منها موضوعا دائما للخلاف فيما بينهم . وقد يقال إن بريطانيا لا حاجة بها إلى الاستيلاء على مصر إذ أن لها من سيادتها البحرية ما يجعلها تستأثر بتجارة مصر الخارجية ويضمن لها بالتالي أن يكون لها ما تريد من نفوذ فيها . ولكن ماذا سيكون من أمر هذا النفوذ إذا ما عادت فرنسا من جديد الخليفة الطبيعية للباب العالي ، وإذا ما عمل الباب العالي من ناحيته على إرضاء فرنسا

(٢) من زعماء الماليك في ذلك التاريخ . فر - بعد هزيمة الماليك - إلى الصعيد .
وهادن الفرنسيين . . .

أكثر من بريطانيا ؟ وكيف يكون الوضع إذا ما مضت الدولة العثمانية فى إجراءاتها فأغلقت مرافئها فى وجه الإنجليز ؟ ثم ليس من المحتمل كذلك أن يضغط الفرنسيون على حلفائهم ليتخذوا - برا - تدابير عدائية أكثر مع الإنجليز ، يمكن أن تقضى على تجارتهم فى بلاد الشام وفى البحر الأحمر ؟

- ٦ -

إن مشاعر المصريين نحو الفرنسيين ترجع إلى أساليب هؤلاء فى الحكم فى أثناء احتلالهم لمصر . ولست فى حاجة إلى إعادة الكلام فى هذا الموضوع ، إذ أعتقد أنكم يمكن أن تستعيدوا بسهولة ما دار بيننا من حديث حوله . وعلى هذا فإن كل شئ ، بما فى ذلك مشاعر المصريين تجاه الفرنسيين وما يمكن أن يشعروا به تجاه الإنجليز كلما ازدادت معرفتهم لهم ، يثبت أن مصر المستقلة لن تكون إلا موالية لبريطانيا . ومن ثم فعلى بريطانيا أن تعمل على استقلال مصر . أو على الأقل أن تؤيد هذا الاستقلال بعد حدوثه . وذلك على ضوء ما هو متوقع من تطورات فى مستقبل الأيام .

- ٧ -

إذا فرضنا أن حكومات الدول الأوروبية سمحت باستقلال مصر ، فكيف يحكم المصريون أنفسهم ؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم ؟

أولا: لا يسمح المجال فى هذه المذكرات المحررة على عجل

بالدخول في تفصيلات مشروع الوفد المصرى لحكم البلاد .
ويكفى الآن أن نلاحظ أن قيام حكم الاستقلال لن يكون نتيجة انقلاب
مبعثه وعلى أمة اضطرت فيها مختلف الآراء الفلسفية، ولكنه
سيكون نتيجة تغيير جبرى تفرضه القوة القاهرة على قوم مسالمين
جهلاء يكادون لا يعرفون سوى عاطفتين تحركان سلوكهم ، هما
المصلحة والخوف . فإذا استطاعت الحكومة الجديدة أن تسبغ على
حياة الناس شيئا من الرخاء وأن تعمل على زيادة دخولهم ، وهو
أمر ليس بالعسير ، فمن المؤكد أنها ستنال تأييدهم بحماس .
وكيف لا يكون الأمر كذلك وأى حكومة فى العالم أفضل من
الاستبداد التركى . فلتكن الحكومة الجديدة إذا عادلة وحازمة
ووطنية كما كانت حكومة شيخ العرب همام فى الصعيد التى
رويت لك قصتها . ولا شك أنها عندئذ سوف تكون موضع
الاحترام والطاعة والحب .

ثانيا: كيف يدافع المصريون عن استقلالهم؟ وهل سيكون هذا
الدفاع ضد دولة أوروبية ؟ إن من غير المتوقع حدوث ذلك إلا بعد
وقت طويل يكون قد تم فى خلاله تنظيم جيش وطنى قادر على رد
الاعتداء . أما إذا كان الاعتداء من جانب الترك أو المماليك
فنتعقد أن الدول الأوروبية لن تسمح بحدوث ذلك . ومن جهة
أخرى فإن المصريين يمكنهم أن يعتمدوا على قوات أجنبية تعمل
لحسابهم يتراوح عددها بين ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جندي يكفون تماما لصد
الترك عند الصحراء ولتسحق المماليك داخل مصر، وتكون هذه
القوات فى الوقت نفسه نواة الجيش الوطنى . ولما كان العثمانيون

يفعلون أى شىء من أجل المال فمن الممكن بذله لهم لردهم عن مصر . ولقد كان المماليك يستعملون هذا السلاح كلما رأوا سحب السياسة تتلبد ضدهم فى القسطنطينية .

وينبغى ألا يفوتنا أن نذكر فى هذا الصدد أن المصريين منقسمون إلى عدة طوائف، وأن هذا الانقسام من شأنه أن يساعد على دفع هذه الطوائف بعضها ببعض من أجل حفظ التوازن بينها . ولتوفد المصرى صلات بهذه الطوائف جميعا دون انحياز لواحدة منها على الأخرى . وهذه الصلات قائمة فى الخفاء وستظل خافية تماما عن الحكومة التركية فى مصر . وهذه الحيلة أمر لابد منه تجاه حكم مستبد متربص بالناس ، ولن يتوانى عن البطش بالأخوة دعاة الاستقلال والفتك بهم عن آخرهم إذا استطاع أن يكشفهم . ولقد استطاع الذين هجروا مصر من هؤلاء الأخوة مع الجيش الفرنسى أن يتحدوا ضعفاء الترك ، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للأخوة الذين بقوا فى مصر ، فهؤلاء يعيشون تحت السيف والعصا ، ولا يملكون إلا إخفاء حقيقتهم والظهور بمظهر عبيد السلطان المخلصين .

- ٨ -

إن المصريين كافة ، والوفد المصرى لدى الدول الأوروبية بوجه خاص ، سيبدلون كل ما فى وسعهم من جهد ليحرروا أنفسهم بطريقة ما من النير الذى يثقل كاهل بلادهم التعسة . ولكن إذا خاب سعيهم وجاءت اتفاقيات الصلح العام بعكس ما يرغبون ، وشاء القدر أن يعود الترك إلى امتلاك هذه الأقاليم الجميلة الشهيرة

وتعريضها بذلك لتجدد العدوان عليها ، فأقل ما يلتمسه المهاجرون
المصريون من الدول المتعاقدة أن تكفل لهم من الضمانات ما يدرأ
عنهم شر انتقام الترك إذا ما عادوا لوطنهم .

- ٩ -

بالرغم من أن الوفد المصرى لا يعمل إلا من أجل تحقيق مشروع
سياسى فيه نفع لجميع الحكومات بما فى ذلك الحكومة التركية
(وبالرغم مما يبدو من غرابة هذا القول فيمكننا البرهنة على
صحته) ، فقد تعرض ظروف لا بد فيها من المحافظة على أسرار
المفاوضات . ولذلك فإننا نرفق بهذا «شفرة» يمكن استعمالها فى
مراسلاتنا إذا اقتضى الأمر ذلك .

- ١٠ -

يرى الوفد المصرى حرصا منه على نجاح المفاوضات المزمعة
ضرورة كتمان أمر ما فاتحناكم فيه من مقدمات لها ، وكذلك ما
يمكن أن تبلغوه لفخامة اللورد ، عن فرنسا وعن أى طرف يستطيع
عرفتها . إن خطة الوفد أن يعمل فى أوروبا على أن تكون فرنسا هى
التي تبدأ بعرض المقترحات الأولى على بريطانيا ، وتكون بريطانيا
عندئذ قد اقتنعت بما فى مشروع الاستقلال المقترح من مزاي
فتويده . وبهذه الطريقة فإن الوفد المصرى لن يتعرض لأن يرى
الحكومة الإنجليزية ترفض المشروع بمجرد علمها به بسبب العداء

التقليدى بين الأمتين الإنجليزية والفرنسية ، أو شكاً منها فى وجود
دسياسة ما من دسائس فرنسا .

- ١١ -

لكى تسهل مراسلتنا من فرنسا أو من غيرها يمكنك ياسيدى
القبطان أن ترسل ما تريد إلى السنيور الكونت انطون كاسيس
(قسيس) المقيم فى تريستا ، وهو يقوم بتحويلها إلى حيث يقيم
الوفد ، على أن يوضح ذلك بوضع اسمه على كل رسالة . أما
الرسائل التى قد توجه إلينا من إنجلترا ، فإن وصولنا إلى باريس
سوف يشيع أمره فتتيسر عندئذ معرفة أين نقيم ، وبهذا يمكن أن
أتسلم رسائل حكومتكم بسهولة . ولكن تلزم الحيلة التامة فيما
يتصل بهذه النقطة الأخيرة حتى لا تتسرب أية شكوك إلى
الحكومة الفرنسية .

ظهر السفينة پلاس فى ٢١ سبتمبر ١٨٠١

٥- إعلان الولاء لبونابرت

(... أما رفقاء المعلم يعقوب - في الخيانة - ... والذين واصلوا - بعد وفاته على ظهر الباخرة «بالاس» - واصلوا مساعي التحريض والإغراء لفرنسا كي تعمل - بالوسائل غير العسكرية - على إخفاق مصر بفرنسا ... وتطبيق التشريعات الفرنسية بمصر ، بدلا من شريعتها الإسلامية وقانونها الوطني ... فلقد كتبوا إلى بونابرت ، ليعمل على «استقلال» مصر عن حضارتها الإسلامية ، ومحيطها العربي ، مؤكدين أن في ذلك «الاستقلال» من المكاسب لبونابرت وفرنسا ما يعوض عن الخسارة العسكرية تعويضا يفوق النجاح العسكري مائة مرة ! ...
فالمقصد الأعظم ، هو أن تدير مصر ظهرها للعروبة والإسلام والشرق ، ملتحقة بأوروبا ! ...

وفي هذا السبيل ، كتبوا لبونابرت يقولون :

من نصر أفندي نيابة عن الوفد المصري إلى القنصل الأول بونابرت إلى القنصل الأول للجمهورية الفرنسية من الوفد المصري الذي يكن له أعظم التقدير .
المحجر الصحي بمارسيليا في أول فنديمير من السنة العاشرة للجمهورية (٢٣ سبتمبر ١٨٠١) ١٨ صفر ١٢١٦^(١)

(١) لأن معرفة كاتب هذه الرسالة - غرافندي - بالتاريخ الميلادي أكثر من معرفته بالتاريخ الهجري - علاوة على أنه يكتب من مرسيليا - فلقد راجعنا مقابلة التواريخ - معتمدين الميلادي - فوجدناه يقابل ١٥ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ هـ انظر طعة (التوقيعات الإلهامية) التي حققتها - ص ١٢٥٤ طبعة بيروت سنة ١٩٨٠ م .

في قديم الزمان ، إبان تلك العصور الموعظة في القدم ، عندما كانت فرنسا في حالة الفطرة تكسوها الثلوج والغابات ، كانت مصر متحضرة مزدهرة ينهل مشرعو الإغريق من معين علمها ومعرفتها . ثم دار الزمان دورته وشاء القدر أن يفد مصريو العصر الحاضر أحفاد رواد الحضارة في الماضي إلى فرنسا وهي تنعم بحكمك الرشيد ، ليتعرفوا على نظم أمة يحبونها وليقفوا على ما استحدثته من وسائل لم تسبقها إليها أمة أخرى ، مكنتها - وهي الجمهورية الناشئة - من المحافظة على مكاسبها الخربية بما سنته من نظم سياسية جديدة وكما أن سولون (Solon) عند عودته لبلاده من مصر شرع للإغريق ما اقتبسه من النظم المصرية، فإن الوفد المصري الذي قوضه المصريون السابقون على ولائهم نك سيشرع لمصر ما ترضاه لها من نظم عند ما يعود إليها من فرنسا .

إن هذا سوف يحدث يافخامة القنصل الأول إذا تفضلت - من أجل مجدك ومن أجل المصلحة السياسية للجمهورية الفرنسية - فمددت يد المساعدة للمصريين التتساء الذين وضعت عنهم من قبل أغلائهم التي عادوا ينوءون بها من جديد، وتكرمت فأحسنست استقبائهم وكلائهم في باريس . إننا نأمل أن يكون استقبائنا في العاصمة الفرنسية بمثابة اجتماع شرقي يجدد لك ذكرى الفتح العظيم الذي أفاء الله به عليك ثم ضاع منك^(٢) . ولابد أنك - ياسيدى القنصل الأول - شديد الإحساس بأنهم ما فقدت ، ولكنك إذا عملت في

(٢) سولون (٦٤٠ - ٥٥٠ ق.م) أعظم مشرعي أثينا ، وأحد حكماء اليونان السبعة
اشتهر بالقوانين التي سنّها ، والتي خففت وطأة الضرائب على الفقراء
(٣) هل يقوم المستقلون بذكرى حملة بونايرت بهذه المهمة ؟^٩ تحديد ذكرى الفتح
النابليوني العظيم ١٧ .

معاهدات الصلح على أن تكون مصر مستقلة فسوف تعوض خسارتك فيها مائة مرة . إن هذه هي أمانينا التي أخذنا على أنفسنا عهداً بالسعى إلى تحقيقها .

عن الوفد المصرى

وكيله

نمر افندى

حاشية : أغا الانكشارية^(٤) وعضو الوفد الذى سبق أن عرفه فيخامة القنصل الأول في القاهرة يرجونى أن أذكرك بأنه لن ينسى ما غمرته به من عطف حينذاك^(٥) .

(٤) هو - كما ذكر الدكتور أحمد الصاوى - عبد العال أغا الانكشارية ، واحد المتعاونين مع جيش الحملة الفرنسية ، والذين خرجوا من مصر مع القوات الغازية سنة ١٨٠١ م .

(٥) رجعتنا - فى هذه الوثيقة - إلى كتاب (المعلم يعقوب) ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

٦- اختراق إفريقيا بواسطة مصر

(.. كما كتب رفقاء المعلم يعقوب إلى وزير الخارجية الفرنسي - «تاليران» (١٧٥٤ - ١٨٢٨م) - يعرضون خدماتهم بتسخير أقباط مصر وكنيستها لتحقيق اختراق فرنسا لوسط إفريقيا ، وذلك عن طريق الكنيسة الأثيوبية - التابعة في المذهب للكنيسة المصرية - . وهو المشروع الاستعماري الفرنسي القديم - منذ الملك لويس الرابع عشر (١٦٣٨ - ١٧١٥م) - ..

كتب رفقاء المعلم يعقوب إلى «تاليران» يعرضون العمل على تنفيذ هذا المشروع الاستعماري الفرنسي القديم - في عهد الجمهورية - بعد فشل الحملة العسكرية على مصر - ! .. فقالوا :

من نمر الهندى إلى وزير الخارجية الفرنسية (تاليران)^(١)

سيهبط إلى موانئ الجمهورية الفرنسية عدد كبير من المهاجرين الشرقيين الذين غادروا بلادهم مع قوات جيش الشرق التى تم جلاؤها عن مصر .

والوفد المصرى ، بالرغم من أنه فقد رئيسه الجنرال يعقوب الذى قضى نحبه فى أثناء السفر ، يعلن كل ما يشعر به من ولاء وتقدير للجمهورية الفرنسية ، ويرى من الضرورى أن يلجأ إليك يا سعادة

(١) تاريخ هذه الرسالة هو ذات تاريخ الرسالة السابقة - المرفوعة إلى بوناپرت - ٢٣ سبتمبر سنة ١٨٠١م . ولقد رجعنا فيها إلى المرجع السابق . ص ١٣١ - ١٣٢ .

الوزير لتتفضل وتضعه هو وأولئك المهاجرين تحت رعايتك وتشملهم بكرمك وعنايتك .

لقد كان لويس الرابع عشر يعمل في الظاهر على ضم كنيسة أثيوبيا إلى الكنيسة الرومانية (الكاثوليكية) ، ولكنه كان يسعى في الحقيقة لند نفوذه السياسي نحو أقاليم وسط إفريقيا الجذابة الغامضة ، ومن ثم بذل عدة جهود لم يقدر لها النجاح لكي يتعلم في فرنسا عدد من شباب القبط المصريين ، لأن بطريرك الأقباط هو هو نفسه رأس الكنيسة الأثيوبية . وإذا كان الملك قد أحقق في مساعده ، فإن الجمهورية الفرنسية اليوم في ظل حكم القنصل الأول^(١) استطاعت أن تحقق ما عجزت عن تحقيقه الملكية المطلقة الاستبدادية .

وإن الوفد المصري الذي يتوب عن الأمة المصرية ليجسد وحده كل ما يختلج في نفوس الذين أنابوه عنهم من شعور بالمصلحة المشتركة ، وما يحتشد في قلوبهم من أمان وما يملكون من فطنة وما يتمتعون به من نفوذ وثروة . وهو يعبر عما أجمعوا عليه بما يتمثل في رغبتي :

الأولى : هي القضاء على القوة الغشوم التي عادت تستبد بهم من جديد .

والثانية : هي وضع ثقتهم في فرنسا ليقينهم أن مصلحة الجمهورية الفرنسية ذاتها تقتضي ألا تخيب أملهم .

وبناء على ذلك فنحن نتقدم إلى سعادة الوزير باقتراح : لقد تكبدت فرنسا في الشرق خسارة جسيمة ، فلم لا تتخذ من هذا الوفد

(٢) أي بونابرت .

وسيلة لتعويض ما خسرتَه ؟ إنك إذا تفضلت فدعوت الوفد إلى لقائك في باريس قبل توقيع الاتفاق التمهيدى مع بريطانيا ، فإننا نستطيع أن نؤكد لك أن فرنسا سوف تحتفظ بنفوذها السياسى فى الشرق وتحميه بما قد يفقدها إياه زمنا طويلا نتيجة للجلاء عن مصر وما تطور إليه أمرها الآن ، ونتيجة لأوامرات الدول التى تخشى بحق زيادة نفوذ فرنسا . بل نستطيع أكثر من ذلك أن نتأكد أن فرنسا إذا أرادت - يمكنها عن طريق الأمة المصرية التى ستكون موالية لها مد نفوذها نحو أواسط إفريقيا . وهكذا يتحول ترككم مصر للإنجليز من نكبة إلى سبب لمجد القنصل الأول ومصدر رفاهية للأقاليم الفرنسية فى الجنوب .

ولا يرى الوفد المصرى فى الوقت الحالى داعيا للإطالة . فهو يستطيع فى جلسة واحدة فى باريس أن يوضح مقاصده بما لا يستطيع فى عشرين مذكرة مكتوبة . ونحن العرب نقدر فى الحديث على التعبير عما نريد ، وإن كنا فى الكتابة قد لا نستطيع أن نبلغ الغاية فى يسر . وبالإضافة إلى هذا فنحن مدركون لما تفرضه علينا كثرة مشاغلك السياسية من ضرورة الإيجاز فى الرسائل .

إننا نرجو التفضل بالرد على كتابنا هذا . وأن تسمح لنا إذا تكرمت باستقبالنا فى باريس أن نقابلك بزينا الشرقى ، فالمسلمون هنا بالذات ليس من اليسير عليهم تغيير زيهم^(٣) ، ثم إن هذه

(٣) كان هناك مسلمون تعاونوا مع الحملة الفرنسية . ومتهم من غادر مصر مع جيش الحملة المنهزم . وبعضهم شارك فى هذا «الوفد» . فالخيانة لم تكن كلها فى غير المسلمين .

الأزياء الشرقية قد تذكر فخامة القنصل الأول بفتوحه السابقة وترضى حب الاستطلاع لدى من لم يتبعوه للشرق .

إن الوفد المصرى يعلم تماما أن وقت القنصل الأول ، الذى يدبر بنفسه شئون الحكم حتى فى أدق جزئياتها ، وتنعم الدولة برعايته ، أثمن من أن ينفقه فى التندر بقراءة ما يرد إليه من الرسائل الخاصة . ولكننا نرجوه أن يقدر أن وفدنا ينفرد بطبيعة خاصة ، وأنه يصل إلى فرنسا فى ظروف معينة ، وأن كتابنا له المرفق بهذا^(٤) له أهميته ، فيتفضل بتسلمه ويمن النظر فيه بحكمته العميقة^(٥) .

(٤) الإشارة إلى الوثيقة السابقة - المرفوعة من هذا «الوفد» إلى بوناپرت

(٥) جدير بالذكر أن «تاليران» ، الذى سعى إليه رفاق المعلم يعثوب .. هو نفسه الذى سبق له - قبل الحملة على مصر - وتقدم بمشروع استعمار مصر إلى الحكومة الفرنسية منبها على أن هذا الاستعمار الفرنسى هو إحياء للإمبراطورية الرومانية - التى كانت مصر من مستعمراتها - فقال : «كانت مصر مقاطعة فى الجمهورية الرومانية . فيجب أن نصبح للجمهورية الفرنسية» !!

٧- واختراق منظومة القيم

(ولم تقف مسحة هذه الحملة عند احتلال الأرض .. ونهب الثروة .. وزرع الخيانة .. واختراق سياج الأمن الوطنى والقومى والحضارى .. وإنما أحدثت خرقا واختراقا فى منظومة القيم الإسلامية والعربية والشرقية .. وذلك عندما أضفت أفكار وممارسات الفرنسيين ، المشروعية .. والعننية .. على المحرمات والانحرافات ..

وإذا كان الاختراق على هذه الجبهة يستحق دراسة طويلة ومعقدة .. فإن هذا المقام تكفى فيه هذه السطور ، التى كتبها شاهد العصر وحجته وأعظم مؤرخيه .. فلقد كتب الجبرتى عن هذا الاختراق لمنظومة القيم الإسلامية والشرقية ، فقال : (

« .. ومنها تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء .. وهو أنه لما حضر الفرنسيين إلى مصر ، ومع البعض منهم نساؤهم ، كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدلن على مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصنوعة ، ويركبن الخيول والخمير ويسقنهن سوقا عنيفا ، مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة .

فصالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن مع الفرنسيين ، خضوعهن للنساء ، وبذل الأموال لهن . وكان ذلك التداخل ، أولا ، مع بعض احتشام وخشية عار ، ومبالغة فى إخفائه ،

فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر - (أي ثورة القاهرة) - وحاربت
الفرنسيين بولاقي، وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها، وأخذوا ما
استحسنوه من النساء والبنات، صرن مأسورات عندهم، فزینوهن
بزي نساءهم، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال، فخلع
أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من
النساء الفواجر، حتى كثرت الفواحش من النساء. مع ما حل
بالمسلمين من الذل والهوان وسلب الأموال، واجتماع خيرات الدنيا
في حوز الفرنسيين، وشدة رغبتهم في النساء، وخضوعهم لهن،
وموافقة مرادهن، وعدم مخالفة هواهن، ولو شتمته أو ضربته
بتاسومتها^(١) على قفاه، ولو كانت هي في غاية القبح. فطرح الحثمة
والتوقار، والمبالاة والاعتبار، واستلمن نظرائهن، واختلسن عقولهن،
لئيل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات.

وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن، رغبة في سلبانهن
ونوائهن، فيظهر حالة العقد الإسلام، وينطق بالشهادتين، لأنه ليس له
عقيدة يخشى فسادها.

وصار مع حكام الأخطاط^(٢) منهم النساء المسلمات، متزيات بزيهن،
ومشوا معهن في الأخطاط للنظر في أمور الرعية، والأحكام العادية،
والأمر والنهي والمناذاة. وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أثريائها
وأضيافها على مثل شكلها، وأمامها القواصة^(٣) والخدم وبأيديهم

(١) نوع من النعال.

(٢) مفردا : خبطة . - المربع السكنى - والحي في المدينة .

(٣) مفردا : قِاس - وهو حامل القوس . .

العصى يفرجون^(٤) لهن الناس، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات
مثل ما يصير الحاكم، ويأمرن وينهين في الأحكام.

ولما وفي النيل، ودخل الماء في الخليج، وجرت فيه السفن، وقع عند
ذلك من تبرج النساء واختلاطنهن بالفرئيس ومصاحبتهم لهن في
المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل، في الضوايس
والشموع الموقدة، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر
المرصعة، وصعبتهن آلات الطرب، وخدمة السفن يكثرون من انهزل
والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف بسخايف
موضوعاتهم وكشايف مضبوطاتهم، وخصوصا إذا دبت الحشيشة في
رقوسهم، وتحكمت في عقولهم، فيصرخون ويطلبون ويرقصون
ويزمرون ويتجاوبون بصحابة الفاظ الفرنسية في غنائهم، وتقليد
كلامهم شيء كثير.

وأما الجوارى السود، فإنهن لما علمن رغبة القوم في مطلق الأنثى،
ذهبن إليهم أفواجا، فرادى وأزواجا، فنططن الخيطان، وتسلقن إليهم
من الطيقان، ودلوهم على مخبات أسيادهن، وخبايا أموالهم ومتاعهم
وغير ذلك...^(٥)... إلخ... إلخ... إلخ...

(٤) أي يوسعون لهن الطريق بين الناس...

(٥) (مظهر الشفديس) ص ٣١٠ - ٣١١.

والآن ...

وبعد هذه النماذج من وثائق التضليل والإفك .. والخيانة والاختراق
لأمن الوطنى والقومى والحضارى - التى صنعها يونابرت وحملته
على مصر .. سيدهش القارئ، لامن هذه الأكاذيب والخيانات
والاختراقات - المثيرة للدهشة .. وإنما من عظمة الإسلام، وسماحة
مصر الإسلامية فى مواجهة هذا الذى اقترفته هذا النفر من أبناء
مصر، بإغراء ورعاية وتشجيع من الفرنسيين ..

فلقد تسامت مصر على كل هذه الجراح .. وسعت إلى طلى
صفحاتها الكالحة السوداء .. وجاهدت لتضميد جراح الوحدة الوطنية
بين أبنائها .. فعممت النداءات للشعب والأهالى فى مختلف الأقاليم
والمدن والقرى، لنبیان هذا الذى حدث، والحذر من الانتقام، ومعاملة
الأقباط بالسماحة والحسن، بل والتماس الأعذار لهذا الذى صنعه هذا
الفريق من «أراذل القبط»!

بل إن الدهشة لتبلغ الذروة إذا علمنا ما بذلته مصر - إبان استعداد
جنود الحملة الفرنسية للإبحار - لإقناع حتى المعلم يعقوب بالبقاء فى
مصر، عارضة عليه التجاوز عما اقترفت يده طوال سنوات
الاحتلال ..!

نعم .. لقد صنعت مصر الإسلامية ذلك - ولم تنصب المشائى لقيادات
الخيانة .. الذين نصبوا المشائى وحرقوا وأغرقوا العلماء والقادة
والمواطنين والمواطنات .. وعن هذه السماحة يتحدث الجبرتى،
فيقول:

نقد «نودي بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودي، سواء كان قبطيا أو روميا أو ساميا، فإنهم من رعايا السلطان. والماضي لا يُعاد..

و كُتِبَت فرمانات، وأُرسلت إلى بلاد الشرقية، والمنوفية، والغربية، مضمونها: الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمة، وعدم التعرض لهم. وفي ضمنها (أى فرمانات) - آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تدخلهم مع الفرنساوية: صيانة أعراضهم وأموالهم..

كما قُرِنت فرمانات - صحبة عثمان كتحدا - نائب الوالى العثماني - وفيها: التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم، مثل: جرجس الجوهري، وواصف، وملطى... - (وهم الذين شاركوا مع يعقوب حنا - فى قيادة الفيالق العسكرية لحساب الحملة الفرنسية) (١) ...

نعم.. لقد مللت مصر جراحها.. وسعت إلى تجاوز المحنة، التى صنعها يونانبرت وحملته الاستعمارية.. محنة الإبادة التى قتلت ٧/١ الشعب المصرى فى ثلاث سنوات.. وأحدثت أخطر الاختراقات على جبهات الوحدة الوطنية والأمن القومى والحياة الفكرية ومنظومة القيم والمثل والأخلاق..

(١) (عجائب الآثار) ج ٥ ص ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٠٤ .

فهل يشوب الفرانكفونيون - الذين ينكأون هذه الجراح، باحتفالهم
بهذه المعنة - هل يشوبون إلى رشدهم، لتستفرغ بلادنا وأمتنا إلى
معاركها الحقيقية والكبرى والملمعة؟ ..

إن فطرة الوطنية تناديهم للاحتفال بالاستقلال، لا بالاحتلال ..
والفرح بانتصارات أمتهم، مع الاعتبار من هزائمها .. فهل تغيب
تديهم الفطرة السوية على هذا الشذوذ الغريب؟ ..
تأمل ... ونرجو .. ذلك:

﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٧) - (١)

منشأه
الكتاب

صدر من سلسلة (فى التنوير الإسلامى)

- ١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .
- ٢ - الغرب والإسلام .
- ٣ - أبو حيان التوحيدى .
- ٤ - دراسة قرآنية فى فقه التجديد الحضارى .
- ٥ - ابن رشد بين الغرب والإسلام .
- ٦ - الانتماء الثقافى .
- ٧ - تنصير العالم .
- ٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .
- ٩ - صراع النظم بين الغرب والإسلام .
- ١٠ - يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية .
- والمشروع الفكرى
- ١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .
- ١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .
- ١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .
- ١٤ - المنهاج العقلى .
- ١٥ - النموذج الثقافى .
- ١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .
- ١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين .
- ١٨ - الثواب والتغيرات فى البقعة الإسلامية الحديثة .
- ١٩ - نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم .
- ٢٠ - التقدم والأصلاح بالتنوير الغربى .
- ٢١ - فكر حركة الاستنارة . وتناقضاته .
- ٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جاردوى .
- ٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .
- ٢٤ - الحضارات العالمية تدافع ؟ أم صراع .
- ٢٥ - التنمية الاجتماعية بالغرب ؟ أم بالإسلام ؟؟
- ٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .
- ٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . دراسات سويسرية
- ٢٨ - الأقليات الدينية والقومية تنوع ووحدة .
- أم تفتت وأخترق .
- ٢٩ - ميراث المرأة وقضية المساواة .
- ٣٠ - نقعة المرأة وقضية المساواة .
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . سيد دسوقي
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . زينب عبد العزيز
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . سيد دسوقي
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . صلاح الصاوى
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . عبد الوهاب المسيرى
- د . شريف عبد العظيم
- د . محمد عمارة
- د . محمد عمارة
- د . عادل حسين
- د . محمد عمارة
- ترجمة ا . ثابت عيد
- د . محمد عمارة
- د . صلاح الدين سلطان
- د . صلاح الدين سلطان

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تمهيد	٢
قمة الشذوذ	٦
حملة نابليون على مصر	١٣
خلق المشروع الصهيونى	٢٢
خلق المارونية السياسية والتغريب الثقافى	٢٥
وعلى الجبهة المغربية أيضا	٣٠
وخرافة المطبعة .. والجمع العلمى	٣٤
أوراق ووثائق الاختراق	٣٧
١- إعلان بونايرت إلى المصريين	٣٨
٢- جيش الخيانة الوطنية	٤٧
٣- رثاء الخيانة للاحتلال	٤٩

- ٥٥ ٤- وصية يعقوب بتبعية مصر لـ إنجلترا
- ٦٤ ٥- إعلان الولاء لبونا بريت
- ٦٧ ٦- اختراق إفريقيا بواسطة مصر
- ٧١ ٧- واختراق منظومة القيم
- ٧٤ والآن



تأسست في سنة ١٣٣٨ هـ

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..
فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة ● المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى ● د . محمد سليم العوا
- ا . فهمى هويدى ● د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى ● د . كمال الدين إمام
- د . عبد الوهاب المسيرى ● د . شريف عبد العظيم
- د . عادل حسين ● د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر